

الطبقة العاملة في المعركة ضد الاستعمار

فتحي كامل
أحمد فهميم
سيد عبدالوهاب ندا
نور سليمان

[illegible]

الإهداء

إلى الأبطال الذين استشهدوا في
معركة الشرف والكرامة إلى روح
البطل شهيد الطبقة العاملة المصرية
الحاج علي شلبي الخولي رئيس نقابة
سائق اللشبات بميناء بور سعيد .
البطل الذي استشهد وهو يقاوم قوات
الشر والعدوان دفاعاً عن مدينتنا
الباسلة بور سعيد نهدي كتابنا إلى
البطل الذي نظم وقاد حركة الإضراب
ومقاطعة السفن الهولندية سنة ١٩٤٧
تضامناً مع الشعب الأندونيسي المناضل .
إلى البطل الذي كان عضواً بارزاً
في الهيئة التنفيذية لمقاطعة السفن التي
تحمل أعلاماً فرنسية تضامناً مع
الشعب العربي في الجزائر المناضلة .
إلى البطل الذي كان أحد رؤساء
لجان المقاومة الشعبية ببور سعيد
حيث خاض المعركة هو وشقيقه جنباً
إلى جنب . واستشهدا وهما يدافعان
عن مدينتهم الباسلة بور سعيد .
وإلى البطل ... النقابي الذي حقق
لعمال نقابته الكثير من المطالب ...
إليه باسم كل عمال مصر : ...
نهديه كتابنا

obeykandi.com

مقدمة

العمال .. في المعركة من أجل الدفاع عن إستقلال بلادنا وسيادتها ..
في المعركة من أجل الدفاع عن حقنا المشروع في تأمين القناة ، وتصنيع
بلادنا واستغلال ثروتنا القومية لصالح شعبنا . . . في المعركة من أجل
هزيمة المعتدين وردهم على أعقابهم لتبني ماهدمة قنابلهم ولنقيم صناعة
وطنية قوية ، ولنستثمر أرضنا وقنائلنا وبترونا وكل ثرواتنا .

لقد أفلس ساسة الاستعمار وخانهم المنطق وتخلي عنهم الشرف كعادتهم
دائماً ، ولم يسعفهم الكذب والخداع والتزييف . فليجأوا إلى تدبير
المؤامرات وضربوا عرض الحائط بمجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة ،
وخرقوا القوانين والمواثيق الدولية ، وشنوا حربهم العدوانية على مصر
متحدين بذلك إرادة شعوبهم وشعوب كل العالم المحبة للسلام ، ووطن
المستعمرين أن أساطيلهم وحشودهم وطائراتهم تستطيع أن تخرس
صوت التحرير والتأميم والاستقلال الوطني في بلادنا ، ولكن ، ما أن
بدأ العدوان حتى هبت مصر في وحدة وطنية رائعة ، شعباً وجيشاً
وحكومة تقاوم حشود العدوان ، فزارت المدافع ، وهوت طائرات
العدو تنساقط كالذباب ، وأغرقت قطع ضخمة من الأسطول البريطاني
الفرنسي ، وشدت العدو من ضرباته فألقى القنابل على القاهرة والاسكندرية
ومدن القناة وعلى القرى والسكان المدنيين . فما زاد ذلك الشعب إلا
تصميماً وحماة للقتال لطرد المستعمرين الغزاة ، وتوجت المعركة بأروع

ماعرفته الشعوب من معارك التحرير ، . . معركة بورسعيد الخالدة ، معركة قاوم فيها الشعب كله ، المقاومة الشعبية مع القوات النظامية مقاومة بطولية ، وبرزت المقاومة الشعبية في أجل معانيها في هذه المعركة .

لقد استنكرت كل بلاد العالم شعوبا وحكومات العدوان الانجليزى الفرنسى الإسرائيلى على مصر ولم تستطع حليفاتهم أمريكا أن تحتفظ بمظهر الوحدة الغربية للنهاية أمام هذا العدوان الغادر على مصر ، وطالبت بوقف إطلاق النار .

إن مجرمى الحرب إيدن وموليه وعميلهم بن جوريون يخدمون مصالح الاحتكارات الاستعمارية ، يسوقون اليوم شعوبهم إلى مجزرة عالمية رهيبة من أجل مصالح حفنة من تجار الأسلحة مصاصى الدماء أعداء الشعوب ، إن عدوانهم على بلادنا لم يجلب لهم الهزيمة والعار ولشعوبهم الفقر ولصناعاتهم البوار فحسب . . . بل جلبوا لحلفائهم بعضا مما أصابهم . . . فالبترول أصبح مشكلة أوروبا كلها ، ولقد اضطرب إقتصاد أوروبا الغربية بسبب إغراقهم السفن في القناة وتعطيلهم الملاحة فيها .

ويقف في المعركة ضد العدوان الاستعماري على بلادنا الشعب والجيش والبوليس وجيش التحرير الوطنى صفا واحداً ويدا واحدة قوية في ميدان القتال ، وفي ميدان الانتاج وفي كل الميادين . . .

ويلعب العمال دوراً هاماً في النضال ضد الغزو الاستعماري ، ونحن حينما نتكلم عن الحرب التحريرية ضد العدوان الاستعماري ، نجد من الصعوبة التحدث عن العمال ودورهم في المعركة بشكل منفصل ، لأن المعركة

معركة الشعب كله عمال ، وفلاحين ، وجنود ، وضباط ، وطلبة ، وتجار وموظفين ، وكل فئات الشعب المصرى .

كما كانت المعركة معركة عربية حقيقية برز فيها التضامن العربى بشكل فعال ، فقد أكد العدوان الاستعمارى على مصر ضرورة التضامن والوحدة العربية ، ووضع الكفاح المشترك فى مقدمة الواجبات العربية لأنه كفاح الشعوب العربية المشترك ضد العدوان المشترك .. الاستعمار .. الذى أذاقهم مر الحياة ، واستنفذ طاقاتهم وثرواتهم عشرات ومئات السنين . كما كانت المعركة معركة عالمية ، ظهر فيها التضامن الدولى ضد عدوان الاستعماريين على مصر ، إذ وقف بجانب حكومتنا وشعبنا ، شعوب وحكومات صديقة ، ونددت بالعدوان الاستعمارى وقدمت لنا المساعدات الفعالة لوقف العدوان ، وقد أبى نداء الواجب ألوف وألوف من المتطوعين ، مستعدين بأسلحتهم للدفاع عن وطننا واستقلالنا .

كانت وما زالت المعركة شاملة ، إلا أن العمال كان دورهم رائعا وبطوانتهم نادرة ، وما لاشك فيه أن العمال بصفة عامة ، وعمال مصر بصفة خاصة . كان عليهم — وما زال — واجبات يؤدونها بعزة ونفخار لوقف العدوان الاستعمارى وانزال الهزيمة بالمستعمرين . لقد أقسموا أن يحافظوا على ماصنعت أيديهم وما بذلوا فيه من عرق ودم . لقد أقسموا أن يحموا الأرض التى مات فيها أجدادهم وهم يحفرون القناة . لقد أقسموا أن يحموا حياتهم وحياة أبنائهم وحياة كل الشعب المصرى . لقد أقسموا أن يصلوا العدو نارا لا تنطفى . وبر العمال بقسمهم ، وفى الوقت الذى كانت تدور فيه المعارك فى أرض بورسعيد الخالدة وصحراء سيناء وفى

غزة وتلك الطائرات بقية بلاد القطر، وفي نفس الوقت الذي كانت فيه أركان حرب القوات المسلحة تشرف على العمليات الحربية في الميدان وفي الدفاع عن المدن كانت هناك هيئات أركان حرب الطبقة العاملة، حيث الاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب، والاتحادات والنقابات العمالية المصرية، إن الاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب قد رسم خطة الاشتراك في الحرب التحريرية ضد المستعمرين، لا في مصر وحدها، بل في كل البلاد العربية، وقد قام العمال بواجبهم على خير وجه، وأشعلوا النار في جسد الاستعماريين حين أطلقت مدافعهم أولى طلقاتها على شعب مصر العزيز. ولا زالت الطبقة العاملة توالى ضرباتها للعدو في كل مكان على وجه الأرض، حتى أجبرته على قبول وقف إطلاق النار. لقد انتصرنا في الجولة الأولى، ونوال استعدادنا لنتصر في الجولة الثانية. ثم الثالثة، ثم الرابعة والجولات الأخيرة حتى نحقق النصر النهائي لشعبنا وكل الشعوب المتطلعة للحرية والسلام.

إن الطبقة العاملة تلعب اليوم أخطر دور في هزيمة الاستعمار، ولكنه من الصعب توضيح دور العمال منفصلاً عن دور الشعب والجيش والبوليس وعن دور الشعوب والحكومات العربية، وكذلك عن الدور الهام الذي لعبته شعوب وحكومات الدول الصديقة التي هيأت لنا ظروف الانتصار على الغزاة الاستعماريين.

الأسباب الحقيقية للعدوان على مصر

تذرع الاستعماريون بحجج مختلفة لتبرير غزوهم المسلح للأراضي المصرية ، قتلوا الدنيا صياحا بالكاذيب والافتراءات محاولين إخفاء الحقائق التي تفضح أهدافهم ، وتدين سياستهم العدوانية .

فتارة يقولون أن الشرق الأوسط في خطر ، ولا بد من التدخل لإقرار السلام بين العرب وإسرائيل القاعدة الاستعمارية التي تهدد إستقلال وسيادة البلاد العربية .

وتارة أخرى يقولون أن تأهيم القناة ليس من حق مصر ، ولا بد من تدويلها ، ويتطلب هذا تدخلا مسلحا لفرض هذا التدويل .

وتذرعوا بحجج كثيرة ، تؤدي جميعها إلى تبرير العدوان المسلح والغزو العسكري للأراضي المصرية .

فهل هذه هي الأسباب الحقيقية للعدوان الاستعماري على مصر ؟ ؟
نحن نقول أن الأسباب أعمق من هذا .

أن الأسباب الحقيقية تكمن فيما أصاب الاستعمار ومصالحه من هزائم وتقلص على يد الشعوب التي تحررت وانتزعت استقلالها وسيادتها القومية من بين أنيابه .

إن الأسباب الحقيقية تكمن في الرغبة المسعورة للاستعمار في الاحتفاظ
بالبقية الباقية من مراكزه في الشرق الأوسط .

إن الأسباب الحقيقية تكمن في المكاسب التي حققتها الشعوب في
الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية .

ففي هذه الفترة التاريخية :

فازت الهند وبورما إثر الحرب العالمية الثانية باستقلالهما . وقامت
جمهورية الصين الشعبية ، وبذا فقد الاستعمار الانجليزي مراكزه في
الشرق الأقصى ، وانهار أهم ركن لهذا الاستعمار .

لذلك رأى الاستعمار الانجليزي أن يعرض خسارته ، فقرر أن يتخذ
منطقة الشرق الأوسط الممتدة من جنوب النيل إلى الشواطئ الجنوبية
للقوقاز ، منطقة يسكنها ثمانون مليون عربي وإيراني وله نفوذ فيها . . .
فلماذا لا يدعم هذا النفوذ ليعرض خسارته ؟؟

حقاً إن منطقة الشرق الأوسط لا يمكن أن تعوض الخسارة التي
أصابت الاستعمار البريطاني بفقدانه للسوق الهندي ، ولكن هذه المنطقة
غنية بالبترول . . . إن ثلثي إحتياطي البترول في العالم الرأسمالي (قرابة
١٧ مليون ألف طن) موجودة في هذه المنطقة ، إن نصف صادرات
البترول في العالم الرأسمالي تأتي من هذه المنطقة ، إن ربح إنتاج البترول
في العالم الرأسمالي تقوم بإنتاجه هذه المنطقة ، إن إنجلترا وأوروبا الغربية
تعتمد في ٨٠ ٪ من بترولها الخام على صادرات الشرق الأوسط من

البترول ، فالبترول ، هو القوة المحركة للقوات المسلحة البريطانية وللصناعات الرئيسية .

كان من الممكن لانجلترا وغيرها الحصول على البترول من الشرق الأوسط ببساطة وسهولة ، في شكل صفقات تجارية ، ولكن الاستثمار لا يرى الحصول على البترول لحسب . أنه يرمى إلى أكثر من هذا ، إلى الاستيلاء على هذا البترول لتحقيق أرباح ضخمة لشركاته الاحتكارية أرباح لم يحلم بها أحد من قبل . أن الشرق الأوسط ينتج في اليوم الواحد من البترول ٣٨٩ ضعف ما تنتجه الولايات المتحدة . . . إن الأيدي العاملة رخيصة رخصا لا يتصوره أحد ، إن تكاليف إنتاج البترول في الشرق الأوسط لا تزيد عن واحد على عشرة من ثمن بيعة . فتصور كم يكون الربح المفزع للشركات الاحتكارية البريطانية .

من هذا ، ومن هنا ، تصور الاحتكاريون البريطانيون أن الاستيلاء على هذا البترول سيكون تعويضا واضحا عن خسارتهم في الهند .

إن الاستثمار ، قد خسر الهند وبورما ، وقد خسر بذلك المورد الرئيسي للرجال الذين كان يستخدمهم في الجيش الاستعماري البريطاني ، ومن ثم ، كان يبحث الاستثمار عن شيء يملأ به هذه الثغرة ، ليستخدم رجال الشرق الأوسط ، رجال العرب ، وإيران ، وقودا للحرب التي بعدها ضد الشعوب والدول الأخرى .

ولهذا ، وضع الاستثمار خطته للسيطرة على الشرق الأوسط لتركيز سيطرته في هذه المنطقة . وبدأ يمزج ما بين البترول والسيطرة العسكرية ، فيضع الفيلد مارشال ألن بروك الرئيس السابق لهيئة أركان حرب

الامبراطورية رئيسا لشركة الزيت الانجلو إيرانية ، ثم عين الاميرال كاننجهام القائد السابق لأسطول البحر الابيض في مجلس إدارة شركة البترول العراقية ، ووضع في إدارة قناة السويس لورد هانكي السكرتير السابق للجنة الدفاع الامبراطوري وسير الكسندر كادوجان الوكيل السابق لوزارة الخارجية البريطانية والسير فرنسيس وبلي الشخصية البارزة في قلم المخابرات الهندية الانجليزية .

وبدأت المحاولة الاولى لتثبيت أقدام الامبراطورية البريطانية في الشرق الاوسط ، وتجلت فيما أسموه مشروع سوريا الكبرى ، وكان الظن أنه لو نجح هذا المشروع ، فهو يستعمل كنقطة وثوب وضغط على السعودية العربية واليمن وتركيا . ويقوى السيطرة الانجليزية على مصر .

ولكن ، العرب اليوم ليسوا بعرب القرن التاسع عشر ، لقد اجتاحت العرب ثورة وطنية تريد أن تستقل ، تريد أن تدير سياستها من القاهرة ودمشق والرياح وبيروت وعمان ، لامن لندن ولا من واشنطن . ورفض العرب بفضل الوعي العربي المتقدم ، بفضل قوة الشعوب ، بفضل العناصر الوطنية - مشروع سوريا الكبرى - .

بل أكثر من ذلك ، هبت مصر ثائرة ، وبفضل قيادة الرئيس جمال عبد الناصر ، استطاعت أن ترغم الاستعمار على الجلاء عن مصر ، التي قال عنها الفيلد مارشال سليم أنها مفتاح الشرق الاوسط ، واستطاعت سوريا أن تقضى على المؤامرات الاستعمارية وأن تفوز بحكومة وطنية .

فإذا يفكر الاستعمار أن يصنعه ... ؟

فليغير الاسم ... ليغير أسم مشروع سوريا الكبرى ، الذي

أصبح بغيضاً للشعوب ، وإستبدله باسم آخر له نفس المضمون ،
وليكن الاسم الجديد هو « حلف بغداد » . . . حلف تابع لحلف
الاطلنطي ، حلف قائم على امبراطورية زيت البترول وقواد عسكريين
بريطانيين ، وسجن استعماري لعشرات الملايين من العرب والایرانيين .
وكان الهدف من الحلف ، أن يشمل كافة البلاد الممتدة ما بين البحر الاحمر
وبحر قزوين ، ويشمل مصر ولبنان وسوريا والسعودية العربية والسودان ،
فضلا عن العراق وتركيا وإيران وباكستان . . . في ضربة واحدة .
ظن الاستعمار أنه يحقق مشروعه . . . ولكن قامت مصر بزعامه
عبد الناصر تقول لا .

بل وجهت مصر بقيادة عبد الناصر ضربة أليمة للشروع
الاستعماري ، بأن جمعت الشعوب والدول العربية فيما « العراق ،
كتلة موحدة ضد حلف بغداد . بل وجهت مصر ضربة قاسية لكافة
المشاريع الاستعمارية بتأميمها للقنال .

إذن ، لم يكن هناك مفر في وجهة نظر الاستعمار من ضرب مصر . . .
لاحتلالها بالقوة الفاشية حتى لا تنهار كافة مشاريعه انهيارا تاما .
هذا في مجال الشرق الاوسط عامة .

أما في مصر ، فقد حدثت تطورات على جانب كبير من الأهمية
في حياة شعبنا ، والشعوب العربية عموما .

لقد تحددت أسس ونوع العلاقات التي بيننا وبين دول الاستعمار
بشكل خاص ، ودول العالم بشكل عام ، على أساس من الإحترام المتبادل
والاستقلال وسيادة الشعوب ، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية

للدول الأخرى. وغيرها من الاسس التي أقرها مؤتمر باندونج .
كانت هذه التطورات حدا فاصلا بين عصرين ، مصر العبودية
والاستعمار ، وعصر النهضة والحرية والاستقلال .

بدأت هذه التطورات الهامة في حياة شعبنا بالتخلص من اذئاب
الاستعمار ، فاصدرت الحكومة الوطنية قانون الاصلاح الزراعي في سبتمبر
سنة ١٩٥٢ ، وحددت الملكية بمائتي فدان كحد اقصى للملكية الأرض ،
وقوضت بذلك السلطان الاقتصادي لكبار الملاك ، ثم طردت الباشوات
والباكوات من الحكم ، وأعلنت الجمهورية ، وقضت على النظام الملكي
وبذلك قوض السلطان السياسي لكبار الملاك الاقطاعيين ، ولم تكن
هذه الضربة موجهة للاقطاع المحلي فحسب ، ولكنها كانت موجهة أيضا
ضد الاستعمار ، فالاقطاع كان السند الرئيسى للاستعمار وحكومات الاقطاع
وعلى رأسها اسماعيل وتوفيق وفؤاد وفاروق ، كانت هي التي مهدت
للاحتلال البريطاني المشؤوم ، وهي التي سنده طوال أيام حكمها . . .
وفاق الاستعمار . . . ولكنه انتظر .

ووجهت الحكومة الوطنية ضربتها للاحتكار ، فقصرت البنك
الاھلى ، وأصدرت التشريعات التي تنزع السلطان من مجالس إدارات
الشركات من كبار الباشوات والباكوات .

ولم تكن الضربة موجهة للاحتكار فحسب ، ولكنها كانت ضربة
موجهة أيضا للاستعمار .

فالاحتكار في مصر كان أساسا احتكارا أجنبيا ، ينفذ مصالح
الاستعمار لا مصالح مصر ، والباشوات والباكوات في مصر من أعضاء

مجالس إدارة الشركات ومن كبار المالىين ، كانوا مندبا للاستعمار . . .
أخذ الإستعمار يتنمر

لقد فقد عملائه . . . لقد فقد سنده . . . لقد فقد رجاله فى الجيش
والحكومة والاقتصاد .

وبدأت حكومة الرئيس جمال عبد الناصر ، وقد قوضت صرح
الاقطاع وصرح الاحتكار ، تشمر عن ساعديها لاتباع سياسة
واضحة ، سياسة استقلال وطنى ، سياسة سلام عالمى .

موقف مصر من حلف بغداد :

وجاء حلف بغداد ، وأغريت مصر على قبول الانضمام اليه ، وقال
الرئيس جمال عبد الناصر كلمته المشهورة . أن هذا الحلف ليس إلا سجننا
كبيرا صنعه الاستعمار بما يوافق الاشكال التى يتشكل بها طبقا لمقتضيات
الزمن ، كانت سجون الاستعمار أول الامر مناطق نفوذ تحكمها قوات
الاحتلال ، ثم تطورت سجون الاستعمار إلى معاهدات تحالف ، وكان
الشكل الأخير لسجون الاستعمار هو تلك الموائيق التى يعقدها أعوانه
ويتقانون فى حبك سلاسلها وأغلالها حول أعناق شعوبهم ، إن الميثاق
الجديد ليس إلا سجننا كبيرا ، ولم يستطع الوعد ، وكذلك لم يستطع الوعيد
أن يدفع العرب إلى داخل أسوار السجن .

ولم تكف مصر بمعارضة حلف بغداد وأن ترفض الانضمام
اليه ، بل قادت البلاد العربية كلها فى الحملة من أجل تحطيم هذا
الحلف وتجميده .

وأشد غضب الاستعمار . . . وأصبح يترصد بمصر وبقائد
نمضتها الوطنية .

موقف مصر من مؤتمر باندونج :

واجتمع مؤتمر باندونج من تسعة وعشرون دولة آسيوية وإفريقية ،
 ووقف الرئيس جمال عبد الناصر يخطب في المؤتمر محددا سياسة مصر
 الخارجية في صراحة وبساطة : —

١ — وقوفنا موقف المدافع عن حرية ورفاهية الشعوب ، وتأيد
 مبدأ تقرير المصير لكافة الشعوب ومبدأ أن لكل دولة الحق في أن تختار
 ما تراه صالحا لها من النظم السياسية والاقتصادية .

٢ — توسيع نطاق التعاون بين دول الكتلة الآسيوية الإفريقية .

٣ — تصفية الاستعمار الذي طالما كان سببا في الاحتكاك بين الدول .

٤ — وجوب توقف الأعياب الضغط السياسي التي تعمل الدول
 الكبيرة بموجبه على استخدام الدول الصغيرة كأداة لتحقيق أغراضها
 فورا ووجوب احترام الاستقلال السياسي لكل دولة ، ومنع التدخل
 في الشؤون الداخلية للدول الأخرى .

وكان لدور مصر ، ودور الرئيس جمال عبد الناصر في مؤتمر باندونج
 بجانب نهرو وشوان لاي أثره في وصول المؤتمر إلى قراراته التاريخية
 التي أبرزت الدول والشعوب الآسيوية الإفريقية كقوة سياسية كبرى
 لها كلمتها المحترمة في المحيط الدولي ، والتي كان من شأنها إجبار الدول الكبرى
 على تخفيف الحرب الباردة ، والوصول إلى نوع من الاتفاق في جنيف .

وأشد حنق الاستعمار . . . على مصر . . . وسياستها ، وحكومتها
 الوطنية التي تفسد خططه الاستعمارية . . .

حماية استقلالنا بتسليح الجيش

وأخذ الاستعمار يدفع بعميلته اسرائيل للتحرش بمصر في غزة ،
والتحرش بمصر في غير غزة كوسيلة من وسائل الضغط ، وشعرت مصر
وحكومتها بالخطر ، فأخذت تعد جيشها ، فطلبت الأسلحة من الدول
الغربية ، وصرح رئيس الحكومة بأن مصر تطالب السلاح وعلى استعداد
لدفع الثمن ، فرفضوا ... الا إذا وافقت مصر على ميثاق الأمن المتبادل ،
ومعنى هذا ، أن تأتي بعثة عسكرية امريكية تشرف على الجيش
المصرى ... ورفضت مصر توقيع ميثاق الأمن المتبادل ...

وأقبلت الحكومة المصرية ، فعمدت صفقة الأسلحة التشيكية ،
وسلحت جيشها بأحدث أنواع الدبابات والطائرات والبنادق والمصفحات
بأنواعها ... وفزع الاستعمار ، وانطلق ، يهدد ويتوعد وينذر
بالويل والثبور ...

إن الجيش المصرى الوطنى المسلح بأحدث أنواع الأسلحة خطر
ماحق على المشروعات العدوانية والاستعمارية ، وتدعيم لاستقلال مصر
السياسى ، بل وتدعيم لاستقلال الشعوب العربية كلها ، لأنها تستطيع أن
تعتمد على قوة مصر ومعونتها .

سياسة مصر الإقتصادية

واتجهت الحكومة المصرية فى سرعة هائلة إلى التصنيع ، وإلى انشاء
صناعات ثقيلة .. صناعة الصلب والحديد .. صناعة المواد الكيميائية ..
صناعة الكهرباء ...

ورأى الاستعمار في هذا خطرا بالغا على سوقه . . . إن مصر في الغد تستطيع أن تستغنى عن استيراد السلع من البلاد الاستعمارية التي تكلفها ثمنا باهظا ، ولكي تحطم القيود الاقتصادية المفروضة على تجارتها الخارجية رأت أن تبيع قطنها إلى الدول المختلفة ، وأن تشتري ما تحتاج إليه مادامت بضاعة جيدة وبالثمن المعقول . فعقدت الاتفاقات التجارية مع الاتحاد السوفيتي ، ودول أوروبا الشرقية ، والصين الشعبية ، والدول الآسيوية الأفريقية . . .

وأدرك الاستعمار أن في ذلك كل الخطر . . . إن مصر . . . تدعم استقلالها السياسي واستقلالها الاقتصادي . . . إن مصالح الاستعمار في خطر ، وتجارته مهددة بالبوار . . . إذن . . . لا بد له من القضاء على استقلال مصر ، قبل أن يستفحل الأمر . . .

تمويل السد العالي

وبدأت قصة السد العالي ، وتمويل السد العالي . . . وكشف البنك الدولي الذي يسيطر عليه الاستعمار عن وجهه ، فاذا به يضع شروطا معناها كما أوضح الرئيس جمال عبد الناصر حينئذ بالدقة . . . أن يرسل البنك من مجلس مكان وزير المالية ، وآخر يجلس مكان وزير التجارة ، وثالث يجلس مكانى أنا ، ورفضت مصر هذه الشروط ، وأصرت أن تكون مستقلة . . . مستقلة سياسيا . . . مستقلة اقتصاديا . . .

فكان أن جاء رد أمريكا وإنجلترا والبنك الدولي ، يرفض تمويل السد العالي ، وحاول التشكيك في سلامة الاقتصاد المصري ومحاولين القاء بذور الوقيعة بين الحكومة والشعب . . .

تأميم القناة

وكان لابد من رد سريع من جانب مصر . . . رد قاطع . . . حاسم
وأعلنت مصر تأميم القناة . . . قناتنا التي تجرى في أرضنا . . . والتي
حفرناها بأيدينا ، ومات من أجدادنا مائة وعشرين ألفا في سبيل حفرها . .
وقد أفقنا عليها من مالنا حتى سببت لنا الخراب والافلاس على يد من
كانوا يحكمون مصر . . أما أرباحها ، فكانت تذهب إلى جيوب الاحتكاريين
الفرنسيين والاحتكاريين الإنجليز وكانت صيحة مصر لرد القناة عملا
حتميا حتى تتمكن من تمويل السد العالي . . ولم يكن تأميم القناة ضربة
لشركة احتكارية استعمارية أجنبية فحسب ، وإنما كان ضربة لمركز استراتيجي
استعماري خطير كان يستغله المستعمر الفاشم وقت السلم ، مستخدما أرباحه
في محاربة الحركات التحريرية كما كان يستغله وقت الحرب ضد الدول
التي يحاربها . . .

الجبهة العربية

استطاعت مصر أن تحقق ما لم يتحقق في عشرات السنين من الكفاح
المتواصل . . لقد تمكنت مصر من أن تحقق الجبهة العربية بين الدول
على اختلاف نظمها السياسية والاجتماعية . . ضد العدوان المشترك . .
ضد الاستعمار والصهيونية . . فعمدت حلفا ثنائيا ، وقيادة مشتركة مع
السعودية . . كما عمدت حلفا ثنائيا وقيادة مشتركة مع سوريا . . كذلك
مع الاردن . . وظهرت الجبهة العربية متضامنة متحدة عندما أعلن الاضراب
لعام . الذي امتد من المحيط الاطلسي إلى الخليج العربي وقت انهقاد

مؤتمر القراصنة في لندن في ١٦ أغسطس سنة ١٩٥٦ لتدويل القناة . .
وظهرت الجبهة العربية رائدة قوية ، عندما أعلن الاضراب العام احتجاجا
على اختطاف زعماء الجزائر يوم ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٥٦ . .

واشتد حنق الاستعمار وغضبه . وفقد أعصابه وهو يرى الأردن
تتحدى تمبلر رئيس هيئة أركان الحرب البريطانية ، وتطرد جلوب ،
وتسقط وزارة خائنة ، وترفض بإصرار حلف بغداد . ودفع قواته
العدوانية في مجازفة حمقاء للقضاء على هذا الخطر الماحق الذي يهدد نفوذه
تماما ويقضى على جذوره في منطقة الشرق الأوسط بأكملها . . فكان
تصميمه على الغدر . . وكان تصميمه على العدوان . .

إن تأمين القناة ، كسب لقضية السلام العالمي . . . فالقناة المستقلة ،
في يد مصر المستقلة ، لن تستخدم لصالح حفنة من الدول الاستعمارية . .
وتأمين القناة ، تتويج لسياسة مصر . . . سياسة الاستقلال . . . سياسة
السلام . . .

إن الاستعمار في الشرق العربي بأسره في خطر ماحق . . . وتأمين
القناة هو تشجيع لسوريا وإيران والسعودية ولبنان والأردن والعراق
وليبيا على تأمين الشركات الاحتكارية الأجنبية القائمة بها . . . لذلك ،
كانت غضبته . . وكانت مجازفته الحقاء . .

أين تكون الضربة :

ولكن ، أين تكون الضربة ؟ . . حاول الاستعمار في أول الأمر
التحرش بالأردن . . فوجد مصر ترسل إلى الأردن الطائرات والأسلحة

والعون من كل لون . . وسوريا . . ؟ إن مصر ، سوف تهب عن بكرة أبيها ، بكامل قوتها لنصرة سوريا ومعوتها . . إذن . . لمن يوجه ضربته ؟ لابد من توجيهها إلى مصر . . إلى قلب الشرق العربي الناهض . . إلى زعيمة الكفاح التحريري . . إلى الرئيس جمال عبد الناصر قائد النهضة الوطنية العربية الكبرى .

هذه هي الأسباب الحقيقية للعدوان الاستعماري . .

إن مصر ، مصممة على إستقلالها السياسي . . إن مصر ، مصممة على إستقلالها الإقتصادي وبناء صناعاتها الوطنية . . إن مصر ، مصممة على مساندة كل حركة تحريرية في الشرق العربي . . إن مصر ، تأبى كل الأحلاف العسكرية العدوانية وتحاربها في قوة . . إن مصر ، مصممة على سياسة السلام العالمي . . وكل هذا ، من وجهة نظر الاستعمار ، جرائم لا تغتفر ، فكان لابد من القضاء على مصر المستقلة الوطنية ، على الدول العربية بأسرها ، حتى يبدست عليها الاستعمار قبضة من حديد . . حتى تنهار ثورة الجزائر . . حتى تخضع تونس ومراكش . . حتى تذلل الدول والشعوب الراغبة في الحرية ، المتطلعة إلى الاستقلال والعزة والكرامة . .

وهكذا ، كانت البواعث الحقيقية للعدوان الاستعماري على مصر .

خطة العدوان العسكري على مصر

دبر الاستعمار خطة العدوان المسلح على مصر منذ اللحظة الأولى لتأميم شركة قناة السويس .

ولقد كانت الخطة مبيتة لاستخدام إسرائيل ، فقد جاء في جريدة الديلي اسكيتش الانجليزية في ١٢ سبتمبر بالحرف الواحد : لو ضمنا الأمان لإسرائيل وأعطيناها وسائل الدفاع عن نفسها فان هذه الخطوة ستكون من شأنها أن تضع عبد الناصر ومن يتبعونه في مكانهم لفترة طويلة . بل قالت جريدة الديلي ميل الانجليزية في ٣٠ يوليو : « إن ممثلي الغرب يبحثون المشروعات الحربية لمواجهة الموقف » . وقالت نشرة الأنباء الانجليزية في ١٣ سبتمبر : « إن استخدام القوة لازال ممكنا في المستقبل القريب وأن نقطة البدء يحتمل أن تكون في شبه جزيرة سيناء » . وقد ذكرت دوائر الأمم المتحدة أن كريستيان بيدو أثناء مناقشة بجناسة الأمم لمشكلة القناة قال بالحرف الواحد « أن اللعبة لم تنته بعد » .

واضح إذن أن نية العدوان كانت مبيتة لأن مشروعات الغزو كانت معدة . ولم تكن إسرائيل إلا مغالب القط . فقد كشفت مجلة تايم أمر الإتفاق السري الذي عقد بين فرنسا وإسرائيل ، إذ سافر وزير الدفاع الفرنسي إلى لندن ليتفاوض مع الحكومة الانجليزية في وضع خطط

عسكرية لاحتلال القناة . وأرسلت فرنسا سراً طائرات مستير الفرنسية إلى إسرائيل ، وأطلعت إسرائيل فرنسا على خطط الغزو ، وذهب يذو إلى إنجلترا في ١٣ أكتوبر ليبلغ لندن أن إسرائيل مستعدة لشن الحرب . وكان الانجليز والفرنسيون على علم تام مقدما بكافة ما تقوم به إسرائيل .

إن دور إسرائيل ، كما قال خروتشوف ، كان قاصراً على بدء القتال ، لقد كانت إسرائيل أشبه شيء بالغلام الذي يرسله المعتدي قبله ليبر تدخله قائلاً : « لا تضرب الغلام ، ولو لم تشهر إسرائيل بأن بريطانيا وفرنسا تؤيدانها ، لكان في وسع العرب أن يلطموها » .

بل من الثابت أن القوات التي استولت على رفح ، كانت قوات بريطانية أساساً ، لا إسرائيلية تعززها الدبابات البريطانية ، وأن هذه القوات قد نزلت في إسرائيل قبل أن تعلن التعبئة العامة في إسرائيل بزم من طويل ، وقد قامت هذه القوات بعمليات حربية في شـبـه جزيرة سيناء .

وقد اعترفت وزارة الطيران الفرنسية رسمياً ، بأن بعض المدربين على إستخدام الطائرات النفاثة كانوا في إسرائيل أثناء الحملة الأخيرة التي شنتها ضد مصر .

فماذا كانت خطة العدوان المبيتة إذن ؟ . .

كان التقدير السياسي للعدوان .

أن شعب مصر ، سيثور على حكومته الوطنية لأول قنبلة أو قنبلتين تصيبها القاهرة .

أن الشعوب والدول العربية سترتجف رعباً ، فتتأرجح الجبهة العربية ،

وتجد مصر نفسها في عزلة نامة . وفي حالة نجاح الغزو ، تتخذ مصر قاعدة للجواسيس ومركز نشاط لهم ، ومركزاً لتدبير المؤامرات ضد الأردن وسوريا والبلاد العربية .

إن دول باندونج ان تستطيع أن تصنع شيئاً ، أو تقوم ببذل أى عون مادي أو معنوي يؤثر في وصف العدوان بنفس السرعة التي ينفذ بها الغزو .

أن إنجلترا وفرنسا ستحتلان القناة وبالتالي تخضع مصر مرة أخرى سياسياً واقتصادياً وعسكرياً ، فتعود مصر إلى شبه مستعمرة تحرك سياستها لندن وباريس . وقد تحطمت صناعاتها ومشروع السد العالي فيها وعاد الإقطاع والإحتكار الأجنبي إلى السيطرة على شئونها .

وأن يكون لإسرائيل مقابل إشتراكها شبه جزيرة سيناء وغزة والضفة الغربية من الأردن .

إن هزيمة مصر ، وتحولها إلى شبه مستعمرة ، سيؤدي حتماً إلى إنبهار الشرق العربي ، فتسقط سوريا والأردن في مخالب الاستعمار ، وتموت الحركة التحريرية في الجزائر ، وتهبط البلاد التي فازت باستقلالها حديثاً كالسودان ومراكش وتونس إلى مصاف أشباه المستعمرات مرة أخرى .

أن تصاب الحركة التحريرية في العالم بنكسة ، فتتردد الهند وأندونيسيا وبورما وأفغانستان في سياستها الوطنية ، سياسة الاستقلال والتحرر والسلام .

ألا تقوم لفترة طويلة حركات تحريرية في أفريقيا التي تغلي اليوم

يتوذن بالإنفجار فى كل مكان . هكذا ، كانت الخطة السياسية إلى
أروادها المستعمرون من العدوان على مصر .
لقد كانت هذه هى خطة العدوان .

خطة قائمة على الغدر والخيانة والاستهتار بكافة المواثيق الدولية
للهيئة الأمم المتحدة ، ومجلس الأمن .

الردّ على العدوان

والكن ، مصر ردت العدوان في قوة وحزم وبسالة نادرة ، ردت سياسيا . . و ردت عسكريا .

أما من الناحية السياسية :

فأدت الحكومة واجبها كاملا ، فقدمت للعالم الأدلة الناطقة التي تثبت خسة المستعمرين وندائهم وتآمرهم ضد أمن بلادنا وسلامتها .
لقد دعت الحكومة المصرية جميع ممثلي الصحف ووكالات الأنباء في العالم ليحضروا إلى مصر لمشاهدة الحرائق والقتل والتخريب التي كانت مسرحا للعمليات الحربية العدوانية .

إن الحكومة المصرية ، قد سمحت لممثلي الهيئات الشعبية بالسفر إلى الخارج ليؤدوا رسالتهم الوطنية ، ويضعوا الحقائق أمام شعوب العالم وإقناعهم بعدالة قضيتنا ، فسافر لهذا الغرض وفد من العمال المصريين ، ووفد آخر يمثل اللجنة الوطنية لأنصار السلام .

وقد أدت الإذاعة المصرية دورها في هزيمة الأبواق الاستعمارية ، وفضح الأكاذيب والإشاعات التي يروجها العدو ، بهدف تحطيم معنويات الشعب .

وقامت الصحافة بواجبها في حماية الشعب من الختلات المفرضة ،
الأفلام الحبيثة التي تهدف إلى تزكية أهداف المستعمرين . وكانت
لجرائد تصدر عدداً كل ثلاث ساعات ، حماية للشعب من أكاذيب
لستعمرين وأضاليهم .

وأصدرت الحكومة بياناً تنشد فيه المعونة من كافة دول العالم ،
وقف العدوان والغزو الاستعماري على مصر .

كل هذا ، كان له أكبر الأثر في أن يقف بجانبنا ٦٥ دولة ، ويدينون
حكومات الانجليز والفرنسيين في عدوانهم الغاشم .

ووقفت إلى جانب مصر ، في رد العدوان ، الحكومات العربية ،
قطعت العلاقات جميعها مع الدول المعتدية ، واستعدت بجيوشها للقتال
دانب جيشنا وشعبنا بالاسل ، وقامت حكومة كل من سوريا والأردن
شقيقتين بفضح أهداف ونوايا العدوان الغاشم على مصر . وأعلنوا أن
لإعتداء على مصر ، هو إعتداء على الدول العربية جميعاً ، وطالبوا
وقف إطلاق النار ، ومحكمة المسؤولين من الاستعماريين .

وقد شذ عن هذا الجمع المناضل في أرض العروبة الطاهرة ، حكومة
الحائن نوري السعيد حيث وقفت حكومته في صف العدو . ولكن الشعب
مراقى كله كان إلى جانبنا وقاوم ببطولة فائقة مؤامرات نوري السعيد .
ووقفت معظم حكومات الدول إلى جانب قضيتنا ، وأيدتنا الشعوب
الحكومات الآسيوية والأفريقية في كفاحنا المقدس من أجل الحرية
الاستقلال ورد العدوان .

وان نفسى الدور الرائع الذى قام به الشعب السوفييتى وحكومته ،
الإنذار الحاسم الذى وجهه بسحق المعتدين إذا لم يوقف إطلاق النار

فوراً . وكذلك ، الشعب الصينى وحكومته ، والهند ، وغيرهم بما أضاف إلى قوة شعبنا وجيشنا وحكومتنا قوة فى رد العدوان قوة جديدة ، هى قوة السلام فى العالم .

أما من الناحية العسكرية :

لقد أدرك الرئيس جمال عبد الناصر المؤامرة العسكرية الاستعمارية ، فأصدر الأمر بانسحاب القوات الرئيسية المصرية من شبه جزيرة سيناء ، حتى لا تحاصرها القوات المعادية من الشرق والغرب ، وأصدر أمره بالمحافظة على سلاح الطيران المصرى ، حتى لا يتعرض للإبادة . وصنى القاعدة العسكرية للبريطانية فى منطقة القنال ، واستولى على كافة أسلحتها واعتقل كافة خبراءها وأصدر أمره بانضمام الجيش إلى الشعب وإلى جيش التحرير الوطنى . . . وتحوات الاسماعيلية والسويس وما حولها إلى قلاع من المستحيل الاستيلاء عليها .

ثم جاءت ، معركة بور سعيد الخالدة ، التى أظهرت بطولة رائعة ، جعلتها ستالينجراد الثانية .

فلم تستطع قوات دولتين كبيرتين ، بل إمبراطوريتين كانت لهما السيطرة على للعالم فى وقت من الأوقات ، مع قوات إسرائيل ، وقوات أخرى ثبت أنها اشتركت فى العدوان من تركيا وأستراليا ونيوزيلندا ، ومن السنغاليين ، رغم تزويدها بالأسلحة الحديثة . . ورغم إستخدامها لأسلحة حلف الأطلنطى . . أن تحتل أكثر من بور سعيد .

ووضعت مصر وجيش مصر ، بقيادة الرئيس جمال عبد الناصر ، إستراتيجية جديدة نبتت من المعركة ذاتها .

هذه الاستراتيجية الجديدة ، تتلخص في أن أى عدوان إسرائيلي على مصر ، لا يمكن أن يتم إلا بمساندة قوات إستعمارية .. فالدفاع الرئيسى عن مصر ، لا يمكن أن يكون فى منطقة غزة أو شبه جزيرة سيناء ، أو رفح أو العريش ، أو أبو عجيلة .

ولإنما الدفاع عن مصر ، إنما يكون فى الدلتا والقاهرة والصعيد والموانئ : اسكندرية ورشيد ودمياط والمنزلة والمطرية وبور سعيد . وأن هذا الدفاع ، لا يمكن أن يقوم به الجيش وحده ، ولا الشعب المسلح وحده ، إنما يكون بتعاون الجيش والشعب المدرب على حرب العصابات خير تدريب .

وأن يكون الدفاع ، عن كل مدينة ، وكل قرية ، ومن شارع إلى شارع ، ومن بيت إلى بيت .

والأ يترك للعدو ، إلا الخراب التام ، أرض محترقة لا زرع فيها ولا حيوان ، وأن تترك فى كل قرية أو مدينة يحتلها مراكز مقاومة سرية ، تستمر فى مضايقة خطوط العدو .

وأن يكون هناك ، وعى سياسى فى صفوف الجيش و صفوف الشعب ، بأهداف المعركة و نيات الاستعمار فلا تكون معركة عسكرية فحسب ، وإنما سياسية أيضا ، معركة دعاية وإثارة .

هذه ، هى الخطوط العامة لإستراتيجية مصر ، فى دفاعها عن أرضها المقدسة .

استراتيجية ، نبعث من المعركة ذاتها ...

* * *

الشعب يرد العدوان :

وأزاء البربرية الاستعمارية ، والعدوان الفاشم ، لم يقف الشعب مكتوف الأيدي ، فدخل المعركة بثقله وبكل ما يملك ، وابتكرت عبقرية الشعب أشكالاً جديدة لمقاومة الغزاة . فتكونت جبهة الشعب والحكومة . وجيش التحرير الوطني ، ولجان المقاومة الشعبية ، واقتت المعتدين درساً يليق بهمجية الانجليز والفرنسيين . وقد اختبرت هذه الأشكال التنظيمية في المعركة ، فأثبتت تفوقها ونجاحها ، وما بور سعيد إلا مثالا لمقاومة الشعب الباسلة ضد المعتدين .

مقاومة الشعب في بور سعيد الباسلة :

كانوا يظنون ، أنهم بمجرد أن يهبطوا في بور سعيد بأسلحتهم ، فإن الشعب سيرتعد ويستسلم من أول طلقة . . . ولكنهم كانوا واهمين . . . لقد قابلهم الشعب البورسعيدى كعملاق جبار ، لم يعبأ بأساطيلهم ، ولا بقاذفات قنابلهم ، ولا بدباباتهم ، ولا بكل الأنواع الأخرى من أسلحة الإبادة كان أهالى بور سعيد ، يجمعون على الدبابات بأيديهم ويقلبونها ويقتلون من فيها ، كما كانوا يقاتلون جنود المظلات بكل شيء ، لقد قاتلهم الشعب قتالاً مريراً . . . كان يواجه أسلحة الفناء بعزم وإيمان وإصرار ، ولم يكن يتخلى عن شبر واحد من أرض بور سعيد إلا بعد معركة دامية بينه وبين هؤلاء المتوحشين ، وكانت لجنة المقاومة الشعبية في بور سعيد ، تقود المعركة في بسالة ومهارة نادرين ، وكان شعارها الدفاع عن المدينة إلى آخر رجل ، ووجهت تعليماتها إلى الشعب وهى :

- ١ — كل منكم يدرّب الآخر . . .
- ٢ — انكر ذنك في المعركة . . .
- ٣ — لا تبخل على زميلك المدرب بالأسلح . . . ومنتهى الوضعية
أن تعطى زميلك الأكثر تدريباً سلاحك .
- ٤ — لا تطلق رصاصك في الهواء . . . واقتصد في استعمال الذخيرة .

وأصدرت مجلة الانتصار ، التي لعبت دوراً في ربط وتوحيد الخطط
ضد المستعمرين المحتلين ولعبت دوراً هاماً في تنظيم عمليات التموين ،
والعمليات الحربية بعد احتلال بور سعيد . . الخ

المتوحشون :

ورغم بربرية ووحشية المعتدين ، أصر الشعب على المقاومة ،
فانقلب الغزاة إلى وحش ضار ، لا يملك ذرة من العقل أو الإنسانية ،
وراح الاستعمار ينشر الموت والدمار حيثما يكون ، لقد ارتكب الاستعماريون
الانجليز والفرنسيين من الجرائم البشعة ما يعجز وحوش الغاب عن
إرتكابه . . .

لقد هاجموا المدينة الطيبة الوادعة التي لا يزيد سكانها عن ٢٥١ ألف
نسمة . . . هاجموها بطلائع قوات تبلغ أكثر من ١٦٠ ألف جندي
و ١٥٠٠ طائرة من أحدث الأنواع ، ومئات الدبابات والمصفحات
الأخرى . . وفي صبيحة ٢ أكتوبر الساعة السابعة والنصف ، ظهرت
في سماء بور سعيد طائرات حلف الأطلنطي بعدد مدهل ، بعضها

قاذفات قنابل ، والبعض الآخر حاملات جنود المظلات ، واستمرت طائرات العدو تضرب مدفعية السواحل والمدينة وخاصة الطابقتين الرئيسيتين في المدينة من الصباح حتى الساعة السادسة مساء من نفس اليوم ، أى ما يقرب من ١٢ ساعة . تصوروا أيها العمال ، يامن تصنعون الحياة ، ضرب مدينة متوسطة ١٢ ساعة متوالية في يوم واحد بالقنابل ، لقد هاجموا المدينة الصغيرة من البر ، والبحر ، والجو ، وكانت قاذفات القنابل الضخمة تشن الغارات الوحشية المتتالية ، وترسل الموت والنار في كل مكان . . . لقد وصلت بهم وحشيتهم إلى حد أنهم شنوا على المدينة الصغيرة . . . غارة في أول يوم من الإعتداء و ٤٢٠ غارة في اليوم العاشر من الإعتداء . . . لم يكن في المدينة من الأهداف العسكرية ما يستوجب شن كل هذه الغارات ، وإسقاط ألوف الأطنان من القنابل . . . إنما كان الهدف هو الشعب نفسه هو المقاومة الشعبية ذاتها ، هو إبادة السكان . . . ونشر روح الذعر والخوف في مصر كلها . . . والنيل من الروح المعنوية للشعب . . . ومن أجل ذلك ، فقد كانت وحشيتهم التي يمجز الإنسان عن التعبير عنها .

وأعلن الشعب على لسان قائده الرئيس جمال عبد الناصر الله لن يستسلم ، وأنه سيقاوم رغم كل هذا إلى آخر رجل ، وجن جسوسهم ، وانهارت أعصابهم ، وأخذوا يضربون ويضربون بدون تمييز في شكل جنوى ، فضربوا المستشفيات ، والمدينة كلها ، وكانت طائراتهم تخلق إلى مسافة قريبة من الأرض ، وتضرب الوطنيين بالقنابل ورصاص المدافع الرشاشة ، وقذفت الطائرات الصواريخ المشتعلة على المنازل

الحشبية في منطقة المناخ ، وبالبودرة المساعدة على الاشتعال ، كما ضربوا
خزانات البنزين ومخازن البترول ، وبذلك اشتعلت المدينة كلها دفعة
واحدة ، وحاصرت القوات المعتدية الأطفال والنساء في الطرقات
بالنيران ، لقد كانوا يحرقون فلا يميزون بين رجل وامرأة .. بين شاب
وقناة .. بين طفل صغير وكل عجوز .. كانوا يريدون القضاء على
المقاومة الشعبية في أسرع وقت ، فاستخدموا من أسلحة الإبادة ما يقف
لها شعر الرؤوس ..

لقد حولوا أغلب المدينة إلى أكوام من التراب ، وما بقي فيها من
بيوت ، كان الجنود المعتدون يقتحمونها ويفتشون كل ركن فيها ، وكل
جدار منها بطريقة بشعة مروعة إستفزازية .. وإمعانا في الوحشية
والتجرد من كل ما يتصل بالإنسانية ، إستولوا على واپور المياه وقطعوا
الماء عن الأهالي مرة لمدة ٢٤ ساعة ، ومرة أخرى لمدة ثلاثة أيام
متوالية ..

لقد جعلوا الأهالي يقاسون الجوع والعطش ، واسكى يقتلوا
معنوياتهم ، فقد صادروا كل أجهزة الراديو التي وجدوها ، لكي
يفقدوهم كل صلة بينهم وبين إذاعتهم وباقي وطنهم .

ولقد شهد الصحفيون الأجانب كل تلك الجرائم التي إرتكبها
المتوحشون ، بالرغم من أنهم منعوا من التجول في بور سعيد ..

لقد حاولت جماعة من جمعية الهلال الأحمر أن تدخل بور سعيد
لتعنى بالجرحي ومعالجتهم ، ولكنهم منعوا من ذلك بهمجية ووحشية ،

قاذفات قنابل ، والبعض الآخر حاملات جنود المظلات ، واستمرت طائرات العدو تضرب مدفعية السواحل والمدينة وخاصة الطابقتين الرئيسيتين في المدينة من الصباح حتى الساعة السادسة مساء من نفس اليوم ، أى ما يقرب من ١٢ ساعة . تصوروا أيها العمال ، يامن تصنعون الحياة ، ضرب مدينة متوسطة ١٢ ساعة متوالية في يوم واحد بالقنابل ، لقد هاجموا المدينة الصغيرة من البر ، والبحر ، والجو ، وكانت قاذفات القنابل الضخمة تشن الغارات الوحشية المتتالية ، وترسل الموت والنار في كل مكان . . . لقد وصلت بهم وحشيتهم إلى حد أنهم شنوا على المدينة الصغيرة . . . غارة في أول يوم من الإعتداء و ٢٠ غارة في اليوم العاشر من الإعتداء . . . لم يكن في المدينة من الأهداف العسكرية ما يستوجب شن كل هذه الغارات ، وإسقاط ألوف الأطنان من القنابل . . . إنما كان الهدف هو الشعب نفسه هو المقاومة الشعبية ذاتها ، هو إبادة السكان . . . ونشر روح الذعر والخوف في مصر كلها . . . والنيل من الروح المعنوية للشعب . . . ومن أجل ذلك ، فقد كانت وحشيتهم التي يعجز الإنسان عن التعبير عنها .

وأعلن الشعب على لسان قائده الرئيس جمال عبد الناصر ، أنه لن يستسلم ، وأنه سيقاوم رغم كل هذا إلى آخر رجل ، وجن جنونهم ، وانهارت أعصابهم ، وأخذوا يضربون ويضربون بدون تمييز في شكل جنونى ، فضربوا المستشفيات ، والمدينة كلها ، وكانت طائراتهم تحلق إلى مسافة قريبة من الأرض ، وتضرب الوطنيين بالقنابل ورصاص المدافع الرشاشة ، وقذفت الطائرات الصواريخ المشتعلة على المنازل

الحشدية في منطقة المناخ ، وبالبودرة المساعدة على الاشتعال ، كما ضربوا خزانات البنزين ومخازن البترول ، وبذلك اشتعلت المدينة كلها دفعة واحدة ، وحاصرت القوات المعتدية الأطفال والنساء في الطرقات بالنيران ، لقد كانوا يحرقون فلايمزون بين رجل وامرأة .. بين شاب وفتاة .. بين طفل صغير وكهل عجوز .. كانوا يريدون القضاء على المقاومة الشعبية في أسرع وقت ، فاستخدموا من أسلحة الإبادة ما يقف لها شعر الرؤوس ..

لقد حولوا أغلب المدينة إلى أكوام من التراب ، ومابقى فيها من بيوت ، كان الجنود المعتدون يقتحمونها ويفتشون كل ركن فيها ، وكل جدار منها بطريقة بشعة مروعة إستفزازية .. وإمعانا في الوحشية والتجرد من كل ما يتصل بالإنسانية ، استولوا على وابور المياه وقطعوا الماء عن الأهالي مرة لمدة ٢٤ ساعة ، ومرة أخرى لمدة ثلاثة أيام متوالية ..

لقد جعلوا الأهالي يقاسون الجوع والعطش ، والسكى يقتلوا معنوياتهم ، فقد صادروا كل أجهزة الراديو التي وجدوها ، لكي يفقدوهم كل صلة بينهم وبين إذاعتهم وباقي وطنهم .

ولقد شهد الصحفيون الأجانب كل تلك الجرائم التي إرتكبها المتوحشون ، بالرغم من أنهم منعوا من التجول في بور سعيد ..

لقد حاولت جماعة من جمعية الهلال الأحمر أن تدخل بور سعيد لتعنى بالجرحي ومعالجتهم ، ولكنهم منعوا من ذلك بهمجية ووحشية ،

وبذلك ترك الجرحى لمدة طويلة يموتون بدون أى علاج ، كما منعوا
الباخرة الإيطالية .. باخرة المستشفى .. التى جاءت تلبية لنداء الإنسانية
الذى وجهته حكومتنا باسم الشعب .. مخالفين بذلك كل القيم الإنسانية
ومخالفين ميثاق حقوق الإنسان .

لقد فعل المجرمون كل هذه الجرائم ، لكي ينالوا من الروح المعنوية
لشعب فى بور سعيد ؛ ولكن جرائمهم هذه ، أدت إلى تقوية روح
المقاومة والاستبسال ، وفى يوم ٢ أكتوبر الساعة الثانية والنصف
ظهراً ، أنزلت طائرات الأعداء فى منطقة الرسوة ، وهى منطقة تقع
جنوب بور سعيد وتبعد ٣ كم عن المدينة ، عدداً كبيراً من جنود
المظلات ، ولكن بالرغم من هذه المسافة الطويلة ، فقد هاجمهم الشعب
بالاشتراك مع القوات المسلحة والبوليس وجيش التحرير ، واستمرت
المعركة لمدة ٤ ساعات بين قواتنا وقوات العدو ، وقد أبيدت قوات
العدو فى هذه المعركة عن آخرها .

هذا ، فى بور سعيد ، المدينة المصرية التى أثبت أن تستسلم للعدو ،
وهذه المقاومة الشعبية الجبارة فى أعلى مراتبها ، وهؤلاء هم البورسعيديون
الأبطال الذين ناضلوا ومازالوا يناضلون من أجل مدينتهم الباسلة ،
ومن أجل أمهم مصر . . . والذين أعطوا للمستعمرين مصاصى دماء
الشعوب درساً لا ينسوه .

لم يبق لدينا ، بعد أن تناولنا المعركة من الناحية السياسية والعسكرية
وكشفنا عن النوايا والأسباب الحقيقية للعدوان ، والرد عليه ، إلا أن

نتكلم عن دور الطبقة العاملة ، وهو موضوع الكتاب الأساسى كما ذكرنا فى أول الكتاب أنه من المستحيل إبراز دور الطبقة العاملة منفصلا لأن الحركة ، معركة الشعب كله ، عمالا وفلاحين ، وضباطا وجنودا وطلبة ، وتجارا وموظفين وكل فئات الشعب . إلا أن الطبقة العاملة ، برزت كقوة مميزة فى حرب التحرير ضد الغزاة المستعمرين .

الطبقة العاملة في المقدمة

كانت الطبقة العاملة دائما هدفا لعدوان الاستعماريين ، فحاولوا بطرق شتى دون وحدثها ليهبطلوا انتصارها في معركة الحرية والاستقلال ، وليزيدوا من إستغلالها وعبوديتها .

وأدركت الطبقة العاملة ، أنه لا طريق أمامها كي تنجز مهامها التاريخية ضد الاستعمار ، إلا بوحدة صفوفها وتدعيم تكئلاتها .

وصاحب انتصارات شعبنا على الاستعمار ، انتصارات للطبقة العاملة في مجال التنظيم والوحدة ، مما كان له أثر كبير في تعبيد الطريق نحو الحرية والاستقلال ، وفي المحافظة على ما كسبه شعبنا وجيشنا وحكومتنا الوطنية في الصراع السياسي والعسكري والاقتصادي ضد الاستعمار الذي خسر مراكزه ، ليس في بلادنا فحسب ، بل في كل البلاد العربية .

وبما لاشك فيه ، بعد أن انتصر العمال في مجال التنظيم والوحدة ، وأصبحوا يملكون سلاحا لا تقوى على هزيمته أسلحة الاستعماريين ، وأصبحوا أيضا يملكون الظروف التي تجعلهم في مركز صالح للوثوب على الاستعماريين وخنقهم والقضاء عليهم إلى الأبد . فأصبحت بلادنا حرة مستقلة ذات سيادة وعلى رأس شعبنا حكومة وطنية تحمي ظهر الشعب والجيش من الجواسيس والخونة وعملاء العدو ، وأصبح السلاح في يد

الشعب ومعسكرات التدريب تستقبل كل يوم الآلاف من المواطنين للتدريب على إستخدام الأسلحة ، وجيش التحرير الوطنى يضم فى صفوفه كل من يريد الذود عن الوطن ، وتكونت لجان المقاومة الشعبية فى كل مكان لتعبئة إمكانيات الشعب لصالح حرب التحرير ، وأصبح الجيش يقف بأسلحته الحديثة فى صف الشعب ضد المستعمرين الغزاة ، وغيرهم ، ذلك من مظاهر الاستقلال والسيادة القومية والسيادة المستقلة لخير مصر ، ولصالح الشعب .

كل هذا ، جعل الطبقة العاملة فى مركز أقوى وفى المقدمة ، وكانت ضرباتها قاضية ، أذهلت المستعمرين وأجبرتهم على وقف إطلاق النار ، يلحقهم الخزي والعار والهزيمة وتلعنهم الشعوب فى كافة أنحاء العالم .

وقود الثورة للطبقة العاملة ضد الاستعمار :

لم ينس العمال فى المعركة شهداءهم فى ثورة ١٩١٩ ، وفى الهبات لوطنية عامى ١٩٣٥ و ١٩٣٦ ، ولم ينس العمال يومهم الخالد وشهداءهم الأبطال فى يوم ٢١ فبراير سنة ١٩٤٦ ، لم ينس العمال عجالات اللوريات الانجليزية المندفعة بسرعة جنونية تدهس أبطالهم فى ميدان التحرير وكذلك شهداءهم عام ١٩٥١ بعد إلغاء المعاهدة المشثومة ، فكان تاريخهم وشهادتهم وقوداً ثورياً ، يدفع حشودهم الثائرة ضد المستعمرين فى معارك بطولية جبارة . وكان نجاح المستعمرين لا قدر الله ، معناه العودة إلى حكم المراتشين من العملاء ، ومعناه المعتقلات للعمال وزعمائهم وللزعماء الوطنيين الشرفاء . إن تاريخ الاستعمار فى بلادنا هو صراع لا هوادة فيه ضد الطبقة العاملة بشكل خاص ، وضد الشعب بشكل عام .

ففي الوقت الذي كانت تتحرك فيه الأساطيل البحرية والجوية لدواتي
الاستعمار ، انجلترا وفرنسا ، بالاشتراك مع القوات الصهيونية ،
للعديوان على استقلال مصر وسيادتها ، كانت الطبقة العاملة تتحرك
كتائبها لتأخذ المواقع اللازمة لملاقاة العدو في مصر ، وفي جميع أنحاء
الوطن العربي وفي العالم أجمع .

ولا يسعنا ، حين نتكلم عن العمال في حرب التحرير ، إلا أن نشعر
مع جميع مواطنينا بالعزة ، والفخر ، لوعي عمالنا ، ويقظتهم الوطنية ،
والتفافهم بإخلاص وتحمس وبعقيدة ثابتة حول بطل مصر الرئيس جمال
عبد الناصر . وفي الوقت الذي لانستطيع أن نعبر فيه عن الحقيقة
الكاملة ، إلا أننا سوف نترك بيانات العمال ونداءاتهم وقراراتهم ،
تنطق بوعيهم المتطور .

ففي يوم ١٠ أغسطس ١٩٥٦ ، أصدر المؤتمر الدائم ، نداء إلى جميع
عمال الجمهورية المصرية يطالبهم فيه بالإضراب العام الشامل يوم
١٦ أغسطس ، وهو موعد انعقاد مؤتمر لندن الاستعماري وهذا
نص البيان :

بيان

استنكار مؤتمر لندن

بالتوقف النام عن العمل يوم ١٦ أغسطس سنة ١٩٥٦
• يعلن المؤتمر الدائم لنقابات عمال جمهورية مصر شكره وكامل تأييده
للقرارات العملية التي اتخذها الاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب في

جلسته الاستثنائية التي عقدها في القاهرة يوم ١٠ أغسطس سنة ١٩٥٦
محددا بها موقف العمال العرب من أى عدوان يقع على مصر بسبب
مباشرتها لسيادتها الكاملة بتأميم قناة السويس .

وإن المؤتمر الدائم لنقابات عمال الجمهورية المصرية ، إذ يؤيد
القرارات العملية ، يبادر إلى تنفيذها تباعا ، فقد تحدد يوم ١٦ أغسطس
سنة ١٩٥٦ موعدا لاستنكار مؤتمر لندن الاستعماري وذلك بالتوقف
التام عن العمل في هذا اليوم ، لتعلم كل دولة أو دول طامعة في العالم أن
مصر لاتقف وحدها في الكفاح من أجل تثبيت حريتها وسيادتها ،
ولإنما تقف معها الأمة العربية كلها مثلة في عمالها ، وهم غالبية الشعوب العربية .

فإلى عمال جمهورية مصر على اختلاف مهنتهم وحرفهم نتوجه بالآمل
أن يتوقفوا عن العمل يوم الخميس ١٦ أغسطس سنة ١٩٥٦ متضامنين
في ذلك مع زملائهم العمال في كل بلد عربي ، هؤلاء الإخوة الكرام الذين
أعلنوا وقوفهم إلى جوار مصر العربية يذودون عن حريتها وسيادتها
بالدم والمال والولد .

نفتنح عن العمل في هذا اليوم ، الخميس ١٦ أغسطس لإعلاننا لسخط
الشعب المصري على مؤامرات الغرب ومحارلاته استعادة نفوذه وبسط
سلطانه على بلادنا الحرة ، فإن عقارب الزمن لن تعود إلى الوراء .

وأصدرت الاتحادات والنقابات العمالية قراراتها ونداءاتها إلى عمالها
تحمل نفس المعنى .

واستجابت الطبقة العاملة بأسرها ، وشاركها جميع أفراد الشعب
في هذا اليوم المجيد من أيام نضالنا ضد العدو .

وحينما قامت إسرائيل بتأييد من الطيران الانجليزي والفرنسي بضرب المواقع المصرية في سيناء وغزة في يوم ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٥٦ وذلك تطبيقا لخطّة العدوان الاستعمارية ، لم يمهّل العمال المستعمرين لحظة واحدة ، فأصدر اتحاد نقابات الغزل والنسيج نداءه الوطني إلى أبناء المهنة في نفس اليوم ، جاء فيه :

أيها الزملاء .

« إنسوا مشاكم ... إنسوا خلافاتكم ... وكونوا صفا واحدا ضد العصابات اليهودية وريبتها الاستعمار الانجلو فرنسي .

كن مستعدا أيها الزميل للدفاع عن وطنك في كل مكان .

إن شرفكم ، وأعراض أخواتكم وأمهاتكم وبناتكم وزوجاتكم تهيب بكم أن تستميتوا في الدفاع عن وطننا الجديد . إن الوطن يطلب من كل مواطن جهده ... إن الاتحاد يحجب بكل غفر أعضائه الذين تقدموا صفوف جيش التحرير ... إن الاتحاد ليهيب بالزملاء الذين يحمون صفوف الجبهة في الداخل أن يكونوا على أهبة الاستعداد ... فلتعدوا فرقا لحماية مصانعنا ... إن الوطن في حاجة إلى كل ساعة وكل دقيقة من وقتكم ... إن كل زيادة في الانتاج هي سلاح ماضٍ شهروانه في وجه أعدائكم ... إن صناعتنا الوطنية هي الخط الخلفي لقواتنا الباسلة ... فليؤمن كل منكم وهو يعمل في مصنعه أنه يؤدي واجبا لا يقل عن زميله المجاهد في الميدان ... لم يعد هناك مجال لمشكلة من جانب رب عمل وآخر ... لم يعد هناك استفزاز من جانب ضد الآخر ، فالواجب يحتم علينا جميعا أن نقف صفا واحدا في معركة الحرية ... إن الاتحاد مؤمن بوطنية أعضائه ... إن الاتحاد مؤمن بأن عجلة المصانع ستسير ...

ستسير أقوى مما كانت ... إننا مؤمنون أيها الزملاء أنكم ستواصلون الليل
بالنهار وإن نحس المصانع أى نقص من إنتاجهم مهما كان عدد المتطوعين
سنحصى ظهورنا ونقوم بدورنا فى المعركة ... سنكافح عن كل شبر من
أرضنا ... سندافع عن بيوتنا ، عن مصانعنا ، عن إنتاجنا القومى ...
إنها معركة الحرية ، إنها معركة الحياة ، بل إنها معركة النصر ... تذكروا
دماء شهدائكم ... تذكروا أن بينكم وبين الاستعمار ثارا ..

وصدر من النقابات المختلفة بيانات عديدة تحدد بدقة وبوعى
متطور دور العمال فى المعركة ، وتحثهم على زيادة الإنتاج وعلى الانخراط
فى جيش التحرير الوطنى ، وأن يتنازل العمال عن مشاكلهم الخاصة ، وأن
يوقفوا قضاياهم ومنازعاتهم مع أصحاب الأعمال فى الظروف الراهنة حتى
يتسنى لجميع العمال أن يعبثوا جهودهم وإمكانياتهم للمعركة ، وهذا نداء
آخر يفيض بالوطنية والوعى أصدرته النقابة العامة لعمال الغزل والنسيج
والتريكو وملحقاتها بشبرا الخيمة ، جاء فيه :

د أيها المواطنون ، لقد هبت مصر عن بكرة أبيها تدافع عن حريتها
واستقلالها ، لقد أعلنت مصر بكافة طوائفها وطبقاتها ، وعمالها
وفلاحيهـا وتجارها وموظفيها ، وطلابها ، ومثقفـيها ، رجالها ونساءها
على لسان رئيس جمهوريتها البطل جمال عبد الناصر التعبئة العامة
والمقاومة الشعبية .

أيها المواطنون : إننا نخوض اليوم معركة من أنبل المعارك الإنسانية
وأشرفها ، نخوض هذه المعركة تساندنا قوة جبارة عملاقة ، نخوض
المعركة تساندنا قوى السلام فى العالم ، هذه القوة تتمثل فى جميع شعوب

الأرض والعديد من الحكومات الصديقة العظيمة ، حكومات الاتحاد السوفيتي والصين الشعبية ودول أوروبا الشرقية ، إننا نخوض المعركة تشد من إزرانا شعوب البلاد العربية الشقيقة وشعوب دول باندونج .

أيها المواطنون : إننا نخوض المعركة واثقين من النصر وثوقنا من وجودنا ، مستمدين هذه الثقة من بطولة الشعب المصري ومن تاريخه المجيد ، لقد وطينا العزم على أن نصفي حسابنا مع قوى البغي والشر والعدوان ، وأفسمنا على إبادة من آطأ قدمه أرض الوطن من هذه العصابات الاستعمارية .

أيها المواطنون : إننا نعاهد الوطن أننا سنكون في مقدمة الصفوف وفي كل الميادين ، ميدان القتال ، ميدان الإنتاج ، ميدان البناء ، حتى نضمن لبلادنا النصر وإنزال الهزيمة بالمستعمرين الغزاة ، إننا نعاهد أنفسنا ونعاهد الوطن على أننا سنبذل ما في طاقتنا لزيادة الإنتاج عما كان عليه قبل ذهاب زملائنا إلى المعركة .

أيها المواطنون : إننا نناشدكم بالمسارعة للانضمام إلى جيش التحرير والحرس الوطني ، أننا ندعو جميع الزملاء والزميلات أن ينضموا إلى كتائب المقاومة الشعبية للدفاع عن منازلنا وأولادنا ، سندافع عن كل شبر من أرضنا ، وسنجعل مصر مقبرة للاستعمار .

ولا نكون مغالين إذا قلنا أن عمال شبرا الخيمة كان لهم نصيب كبير في المعركة ، فتحول قصر محمد علي بشبرا من مركز لتدبير المؤامرات ضد شعبنا أيام حكم الملكية والإقطاع ، إلى قلعة جبارة من قلاع الحرية والاستقلال في عهد حكومتنا الوطنية الجديدة فاستقبل معسكره الآلاف

من العمال في المنطقة وتم تدريبهم وأخذوا جميعهم مواقعهم في جيش التحرير والحرس الوطني ولجان المقاومة الشعبية ، إن القاهرة وشبرا الخيمة ليستا وحدهما مركز النشاط الوطني للعمال ، ولكن إمتد هذا النشاط من أقصى البلاد إلى أدناها ، فالعمال في السويس والاسماعيلية وبورسعيد والاسكندرية والمحلة الكبرى ، والعمال الزراعيون المنتشرون في كل مكان ، كل يؤدي دوره في نشاط وحماس بالغين ضد العدو .

فشعبنا ، لم وان ينس الاستعمار وفضائعه التي ارتكبها في أرضنا . إن لكل مصري ثأراً مع الاستعمار ، والكل يتلمف لاستقباله ، لذلك ، نجد الاستعدادات على قدم وساق داخل المعسكرات لإعداد أفواج أخرى من العمال المدربين ، ويبذل الآخرون طاقة جهدهم للحفاظ على مستوى الإنتاج بل زيادته كما حدث في المناطق المختلفة ، كمنطقة كفر الدوار التي زاد الإنتاج فيها بنسبة كبيرة ، رغم أن عدد العمال قد نقص بمقدار الثلث قبل المعركة . ومن الاسكندرية ، المدينة الثائرة ، تهب صيحات العمال العاصفة بنداء نقابات شركة الغزل الأهلية ، يحثون فيه العمال على الجهاد والبذل والتضحية ، وفي حديث خاص مع رئيس النقابة الزميل على عبد القادر قال : إن عمال شركة الغزل الأهلية اشتركوا في المعركة وذهب إلى الميدان منهم أكثر من خمسمائة عامل واستشهد منهم ٤٠ عمال في الميدان ، وبيانات كثيرة وقرارات وأعمال جليلة ، تعب عن السخط والثورة ، والشأر من المستعمرين الغزاة ، إن مدينة الاسكندرية لم تنس ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ ، ولم تغفر للمستعمرين ما اقترفوه في حق مدينتهم المناضلة ، رأى أصدرت نقابات العمال بمنطقة الرمل بالاسكندرية البيان الآتي (انتصرونا لأننا نؤمن بحقنا في الحرية . . . انتصرونا لأننا نؤمن بضرورة إستقلالنا

وارتباطه بسلام العالم وحضارته . . . انتصرنا ، لشقتنا في مصر . . .
انتصرنا ، بفضل بسالة جيشنا ومساندة جيش التحرير الوطني والمقاومة
الشعبية . . . وانتصرنا ، بفضل وعى الشعب وإيمانه بسياسة قاده
الوطنية . . . انتصرنا ، بفضل وحدتنا جميعا خلف قائد حركة التحرير
العربي ، قائد حركتنا الوطنية ابن وادي النيل الرئيس جمال عبد الناصر
انتصرنا ، بفضل تأييد شعوب العالم لنا بما في ذلك شعوب الدول
المعتدية على أراضيها . . . انتصرنا ، بفضل تأييد الطبقة العاملة العالمية
لنا واعتزازها بكفاحنا . . . إن الطبقة العاملة هي أكثر الطبقات
إرتباطاً بقضايا التحرير والسلام . وها قد اندفعت الطبقة العاملة في
المعركة بكل قوتها في ميدان الحرب والإنتاج وتمشياً مع ذلك ، طالبت
النقابات العمال بأن يكونوا في الصفوف الأمامية للمعركة ، كما طالبتهم
وتطالبهم بالتبرع بالدم ، لأن هذه النقابات تدرك أن أي تهاون في
المعركة ، سيقرب عليه القضاء على إستقلالنا وسيادتنا) .

ونترك الحديث عن منطقة كفر الدوار المناضلة إلى الزميل العامل
محمود عطا الله عبد الخالق رئيس نقابة العمال بكفر الدوار . (إن كل
واحد فينا على استعداد أن يفتدى مصر بروحه ، كلنا قد جندنا أنفسنا
منذ بداية المعركة ، لقد قسمنا أنفسنا إلى قسمين ، قسم يخوض المعركة ،
وقسم آخر يواصل معركة الإنتاج التي نحس أنها جزء من المعركة التي
تخوضها مصر ، من أجل مصر ، وما أن دقت ساعة الخطر ، حتى تحولت
المصانع وملاعب الشركة وبيوت العمال إلى معسكرات ، تقدمنا كلنا لم
يتخلف منا واحد ، وكنا نحدد لكل فرد منا مكانه ، أما في طابور
المقاتلين ، أو طابور الذين يسهرون على المصنع ويعملون كلهم من أجل

مصر ، لم تمض أيام قلائل ، حتى كان أربعة آلاف وخمسمائة عامل منا قد تحولوا إلى جنود مقاتلين من الطراز الأول ، وعندما اطمأنت القيادة لهم ، وآمنت أنهم على استعداد لكي يقوموا بدورهم في الميدان كاملا ، حددت لهم أماكنهم هناك ، على خط النار .

الإنتاج يزيد :

وتحول الباقون إلى الإنتاج ، وكانت نسبة الإنتاج في المصنع قبل الاعتداء ٩٩ ٪ أما بعد الاعتداء رغم أن أكثر من ثلث العمال قد ذهبوا بعيدا عن المصنع ، فإن نسبة الإنتاج وصلت إلى ١٢٥ ٪ عما كانت عليه قبل المعركة ، ويقول رئيس النقابة (أننا لم نفعل شيئا غريبا ، بل حاولنا أن نقوم بأداء واجبنا ، ولا شك أن كل مصرى يشعر بنفس الشعور الذى أحسه زملاؤنا العمال الذين قادوا معركة بورسعيد ، إن مصر كلها عمال ، والعمال كلهم جنود . (المساء تاريخ ٢ ديسمبر سنة ١٩٥٦) .

قامت نقابة عمال ومستخدمى مصر لغزل النسيج الرفيع بكفر الدوار بدورها في المعركة ، فأشرفت على معسكرات التدريب ، وقام زعماء العمال بشرح القضية الوطنية لعمالهم وللواطنين في كل المنطقة ، وأصدرت النقابة بيانها الأول ، جاء فيه : « زملاؤنا ومواطنونا ، أن واجبنا يحتم علينا أن نقوم هذه المعركة بكل قوة وشجاعة ، لأنها بالنسبة للطبقة العاملة معركة الحرية والخلاص ، فنحن العمال ، أكثر الناس ارتباطا بالحرية والسلام ، فإذا لم نحقق الحرية لبلادنا ، فلن تكون لنا حرية في عملنا ،

سيسخرنا الاستعمار ، سيمتص دماؤنا ، سنكد ونكدح ، ونغتم
الاحتكارات الأجنبية) . وهكذا ، يمتص العمال بثبات في المعركة ، من
نصر إلى نصر ، ويسرى الوعي الجديد بين صفوفهم بسرعة أكبر ، وكان
للعمال مكانهم الحقيقي في المعركة ، فبعد أن أجبر المعتدون على وقف إطلاق
النار ، لم يؤثر ذلك في استعدادات العمال ولم يقلل من بذلهم وتضحياتهم ،
فاستمرت حشودهم تزحف كل يوم إلى معسكرات التدريب ، وإلى المقاومة
الشعبية ، وأعلن العمال بدء الجولة الثانية للمعركة ، أعلنوا الحرب على
آثار التدمير الوحشي للغزاة في بور سعيد ، أعلنوا الحرب على الخراب
الذي نشره العدو والاستعمار المنهزم في بور سعيد ، فقرر العمال بدء المعركة
لبناء بور سعيد ، رمز المقاومة الشعبية المتصلة ، فأصدر المؤتمر الدائم
لنقابات العمال في الجمهورية المصرية النداء التالي (أيها الزملاء ، إن
بور سعيد كانت ولا زالت وستزال حصن مصر الحصين للدفاع عن السلام
والحرية ليس لمصر فقط ، بل للعالم أجمع ، وأن الدماء الزكية الغالية
التي أريقَت من أجساد أهل بور سعيد لتروى شجرة الحرية ، للبشرية
جمعا ، هي دماء أبناؤنا وأخواتنا وقلذات أكبادنا .

إن بور سعيد التي قوضت أركان الاستعمار ، وقضت على أهدافه
الاستعمارية الاستغلالية ، أصبحت مثلاً أعلى للبطولة النادرة المصرية
العالية والعربية الكاملة ، لقد شهد لها أبطال العالم كله — وأشاد ببطولاتها
قواد الجيش في أنحاء العالم . (واستطرد البيان) إن قصة بور سعيد ،
وأهل بور سعيد وبطولة أهلها وبذلهم الدم والنفس والنفيس في سبيل
الذود عن كيانتنا واستقلالنا وعن حريتنا وكرامتنا ، وعن سيادتنا
وعزتنا ، ليعجز عن وصفه البيان ، فلا أقل من أن نعمل لأجلهم —

ولهذا ، فإن المؤتمر الدائم لعمال جمهورية مصر ، يناشدكم جميعا بأعمال مصر الأوفياء ، المساهمة الفعالة لإخوانكم في بور سعيد الذين قدموا أرواحهم ودماءهم وكل ما يملكون قربانا على مذبح الحرية ، للحفاظ على سيادتنا واستقلالنا وضد هجمات المعتدين المجرمين عنا . وذلك بأن يساهم كل عامل بأجر يوم من أيام العمل ، وتكون هذه المساهمة فعالة وسريعة حتى نشد من أزرنا وتقوى من عزيمتنا ونعيد لهم الحياة المطمأنة التي كانوا يعيشونها ، وحتى يكون لنا نحن عمال مصر الأوفياء شرف المساهمة في هذا المجد والفخار الذي سيبقى على مر الأعوام والسنين . (صدر بتاريخ ١٠/١١/١٩٥٦) .

وأصدرت النقابة العامة لعمال الغزل والنسيج والتريكو والصباغة وملحقاتها بالقاهرة وضواحيها ندائها الرابع إلى جميع الزملاء والزميلات يناشدكم فيه بدء معركة البناء لبور سعيد ، وهذا نص البيان . زملائنا ، زميلاتنا :

إن انتصار شعبنا على الاستعمار الأنجلو فرنسي بفضل بسالة جيشنا ومقاومة مواطنينا البور سعيديين الذين كلفوا كفاح الأبطال ، وتأييد شعوب العالم ووقوفها بجانبنا .

زملائنا وزميلاتنا . . . إن تقديرنا واعتزازنا لكفاح مواطنينا البور سعيديين ، لا يمكن أن يمحي من أذهاننا ، إننا لن نبكى من استشهاد منهم ، بل سنخلد ذكراهم .

إن كفاح مواطنينا البور سعيديين ، جعل من بور سعيد ستالينجراد ثانية في تاريخ العالم) .

واستطرد البيان قائلا (زملائنا ، وزميلاتنا ، لقد قرر مجلس إدارة النقابة التبرع بأجر يوم من جميع العمال ، والنقابة تأمل ألا يكون تبرعكم

تنفيذا للقرار فحسب ، بل ترجو أن يكون التبرع نابعا من اقتناعكم ووطنيتكم ، نابعا من إيمانكم وتقديركم لشهداء وطننا في أشرف معركة . ولم تمض أيام قلان على إصدار النقابة بيانها ، حتى بلغ ما جمعه العمال أكثر من ألف ومائتي جنيه سلبها رئيس النقابة إلى رئاسة الجمهورية باسم الرئيس جمال عبد الناصر . وتمضى المعركة قدما ، إلى الأمام ، فيدفع العمال جزءا من قروشهم ، وبلغت تبرعات العمال مئات الألوف من الجنيهات جمعت من الشعب بأسره لإعادة تعمير بور سعيد الباسلة ، ودفع العمال الجزء الأكبر من هذه الملايين ونذكر على سبيل المثال : — أن تبرعات العمال بكفر الدوار بلغت ١١,٢٠٠ جنيه . وذلك من نقابة عمال ومستخدمى شركة مصر للغزل والنسيج الرفيع . ومن الاسكندرية بلغت تبرعات عمال شركة الغزل الأهلية ٤٥٠٠ جنيه . كذلك ٣٥٠٠ جنيه من عمال المنسوجات و ١٥٠٠ من عمال شركة سباهى . وتبرع عمال مصنع كتان الشرق بيوم كامل ، كما تبرع عمال المصنع المصرى للسجاد والقطيفة بأجر نصف يوم ومبلغ آخر يبلغ ٥٤٤ جنيه ، كما تبرع عمال شركة المناجم الإنجليزية المصرية بأجر نصف يوم آخر بلغ ١٥٠ جنيه ، كما تبرعت نقابة مستخدمى الطرق الصحراوية بمنطقة البحيرة بمبلغ ١٥٠ جنيه ونقابة عمال ومستخدمى شركة المنيا والبحيرة بمنطقة الصحراء بأجر يوم كامل ، وتبرعت نقابة عمال الترام بالقاهرة بمبلغ ١٨٠٠ جنيه . وتبرع العمال بشركة المحلات الصناعية بشبرا الخيمة بمبلغ ٦٠٠٠ جنيه مصرى ، وتبرع عمال النقل وعمال المحلة وكافة العمال في أنحاء الجمهورية بالمال ، ويستعد العمال للرحلة الثانية من المعركة ، وهى التطوع في معسكرات العمل الاختيارية لنيل شرف المساهمة في تعمير وبناء بور سعيد الباسلة ، رمز الحرية والاستقلال .

العمّال العرب في المعركة

ونحقق أول إنتصار لوحدة الشعوب العربية في السكفاح ضد الاستعمار ، العدو المشترك لهم ، في يوم ٢٤ مارس سنة ١٩٥٥ ، وكان هذا الانتصار هو تكوين الاتحاد الدولي لنقابات عمال العرب ، حيث يعتبر إنتصاراً حاسماً لقضية الاستقلال والسيادة للشعوب العربية المكافحة ضد الاستعمار ، وضربة قاصمة للاستعمار العالمي ، وقد عبر الدستور الذي أعلاه الاتحاد تعبيراً صادقاً على نضال وتصميم الشعوب العربية إذ جاء فيه أن الهدف الرئيسي للاتحاد هو القيام بالدور الإيجابي لتحرير البلاد العربية من ذل الاستعمار وجاء في مقدمة دستور الاتحاد :

العمال في الوطن العربي — إيماناً منهم بوحدة الأمة العربية وبرسالتها في التحرر والوحدة والعدالة الاجتماعية . وبأن القضية العمالية في الوطن العربي جزء لا يتجزأ من تلك الرسالة ، وبأن نيل العمال حقوقهم الكاملة والمحافظة على هذه الحقوق هو رهن بتحرر الأمة العربية من الاستعمار والاستغلال والرجعية الاقتصادية والسياسية الاجتماعية — وبأن تحقيق هذه الأهداف القومية الكبرى والتمالية المقدسة ، لا يتحقق إلا بتنظيم الحركة العمالية على أساس الوحدة القومية للعرب .

العمال في الوطن العربي يؤمنون بحق الشعوب في أن تقرر مصيرها ،

وأن تحكم نفسها ، كما يعلنون مؤازرتهم لكل حركة وطنية هدفها القضاء على الاستعمار ، ويؤيدون كل مجهود يبذل للنشر وتدعيم السلام .

إن العمال في الوطن العربي ، إيماناً منهم بكل هذا ، يعلنون انضمامهم في اتحاد عالمي ديمقراطي يبنون به صرح مجدهم وعزتهم وحريةهم وتعاونهم وقوتهم .

وعبر الأمين العام عن الدور الرائع الذي يلعبه الاتحاد في معركة التحرير في رسالة موجهة الى عمال السودان نشرتها مجلة الطليعة لسان حال لاتحاد عمال السودان ، حيث قال أن أول هدف للاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب ، الكفاح ضد المستعمرين والعمل على تطهير الوطن العربي منهم ومن عملائهم حتى يتحرر من كل شائبة تشويه ، وحتى يتمكن أهله من الحياة المطمئنة الهانئة واستطرد البيان يقول ، أن الاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب أمكنه أن يصل ما عمله الاستعمار في سنين طويلة من القطيعة بين الشعوب العربية ، ولم يستكمل ثلاثة أرباع العام منذ بدء تكوينه حيث بزغ فجر النور والعرفان ، وعرفت الوطن العربي الكبير مصالحهم الحقيقية ، والكفاح من أجلها ضد الاستعمار والمستعمرين .

وعباً للاتحاد الدولي لعمال العرب الطبقة العاملة على نطاق البلاد العربية في وحدة رائدة في المعركة من أجل تحرير الأوطان العربية ، والمحافظة على سيادة الشعوب العربية . وأخذ الاتحاد يساند كل الحركات التحريرية ، وعندما أدلت مصر إستعمالها حقها الشرعي في إسترداد قناتها ، أرادت الدول الاستعمارية أن تقف ضد إرادة مصر ، وبدأت

هذه الدول تحبك مؤامراتها في مؤتمر لندن لتدويل القناة وإعادة سلمها من مصر ، إزاء ذلك عبأ الاتحاد الدولي للعمال العرب كافة العمال في البلاد العربية لمساندة مصر .

وفي البيان التالي نرى صورة حقيقية لنشاط العمال في كافة البلاد العربية لتأييد مصر وشعبها وحكومتها في صراعها مع قوى الاستعمار والعدوان ، وهذا نص البيان :

بيان عام

من اتحاد نقابات العمال بالاردن

أخواننا العمال

في يوم ٢٦ تموز (يوليو) أعلن الرئيس جمال عبد الناصر تأميم القناة ، واقد كان هذا الاعلان في حقيقة اعلانه للعالم على أن الأمة العربية بدأت تشق طريقها لتأخذ مكانها بين أمم العالم ، وعلى أن مصير الأمة العربية يتقرر في بلاد العرب ، لا في أي بلد آخر ، وبهد أبنائها الاحرار ، لا بأية أيد أخرى ، وعلى أن الأمة العربية ارادتها التي يجب أن تقدر وتحترم . هذه الارادة التي ظلت سنين طويلة مسلوكة لوجود الاستعمار وتحكم الرجعية وتقايس المتخاذلين .

في يوم ٢٦ تموز (يوليو) أعلن جمال عبد الناصر أن الزمن الذي كان فيه الأجنبي يقرر مصير الأمة العربية ويتحكم في مقدراتها ويستغل خيراتها ، قد انتهى إلى غير رجعة .

أن يوم ٢٦ تموز (يوليو) هو يوم بدأت فيه الأمة العربية حياة جديدة . حياة لا نسمح فيه لأى أجنبي أن يتحكم الشعب ويقرر مصيره حياة حرة كريمة يشعر فيها العربي بأنه صاحب السيادة فى أرضه ، وأن ثروات وطنه ملك له لا لمصاصى دماء الشعوب وأعداء الحرية .

أخواننا العمال

أقد كان قرار تأميم القنال نتيجة تفاعل القيادة العربية الحرة مع جماهير الشعب الشائرة ، ونتيجة الايمان العميق بوحدة الأمة العربية ووحدة مصيرها ، ونتيجة الايمان القوى بحق الشعب فى الحياة الحرة الكريمة .

وقضية القنال مطروحة الآن على أنها قضية عربية لا قضية مصرية ، وإن الدول الاستعمارية تنظر إلى تأميم القنال لا على أنه انتهاء لامتياز شركة ، بل على أنه بداية لانتهاء النفوذ الاستعماري وتصفية لاستغلاله فى الوطن العربي وفى العالم اجمع . ففي معركة القنال ، تتجلى معركة الأمة العربية من أجل الوحدة والحياة الحرة الكريمة البعيدة عن كل تحكم واستغلال أجنبي .

فلتعلم فرنسا وانجلترا وأمريكا ، دول الاستعمار ، خالقة إسرائيل المآمرة على حريات شعبنا العربي المستغلة لثرواتنا ، باننا سنقف صفا واحدا مدافعين عن حريتنا وسأداننا وحققنا تقرير مصير أمتنا واستفادة من ثروات وطننا ، حتى آخر نقطة من دمنا ، ولتعلم باننا سوف نرد أى اعتداء على أى جزء من أجزاء وطننا العربي بعدوان أشد وأفسى .

ولتعلم فرنسا وانجلترا وأمريكا ، دول الاستعمار ، جلادة الشعوب
ومصاصة دماها ، والمتنكرة للقيم الانسانية ، باننا ان نسمح مطلقا
لان تكون في اراضيها نقاط اطائراتهم وقواتهم ، واننا ان نسمح لان
يكون بترونا وقود الحرب ضد اخواننا في مصر ، ولتعلم دول الاستعمار
بأن أبناء مصر ان يكونوا وحدهم في المعركة ، بل سيكون فيها كل عربي
في أى جزء من الوطن العربي كان ، وان كل عربي سيقوم بواجبه القومى
كما يجب ان يكون .

ايها الشعب الكريم

انك قد رسمت بدماء شهدائك ، وبفضالك الجبار ، خط السير لهذه
الامة نحو الوحدة والتحرر ، ويوم قاومت حلف بغداد الاستعماري
وأطاحت بالمتآمرين عليك ، ويوم طهرت ارضك بقيادة المليك من ركيزة
الاستعمار (ابوحنيف) . وانت اليوم مدعو لتثبيت هذه الخطوات
والارتكاز اليها لتحقيق خطوات أخرى في اتجاه الحرية والوحدة ،
ودعم الانجاء التحررى في الوطن العربي . وذلك بتجنيد نفسك والاستعداد
للمعركة الحاسمة مع الاستعمار ، معركة القنال .

عاش نضال العمال العرب مر أجل الوحدة العربية .

عاش نضال العمال العرب في سبيل احباط المؤامرات الاستعمارية .

عمان في ١ - ٨ - ١٩٥٦ اتحاد نقابات العمال في الاردن

واجتمع المجلس التنفيذي للاتحاد في يوم ١٠ أغسطس سنة ١٩٥٦
 وقرر الاضراب العام في يوم ١٦ أغسطس ، ويعتبر هذا الاضراب الذي

عم البلدان العربية جميعها ، حدثنا تاريخيا . ورسم الاتحاد خطة كاملة لمقاومة الاستعمار والاشتراك الفعلي في حالة العدوان على مصر ، أو أى قطر من الاقطار العربية ، وأعلن الاتحاد قراراته المشهورة التالية على عمال العرب :

أولا — أن يمنع العمال العرب البترول في كافة البلدان العربية من أن تتسرب أى نقطة منه أو مستخرجاته أو مشتقاته خارج حدود الوطن العربى بكافة الوسائل ، ولو أدى الامر إلى نسف وتدمير كافة الآلات والمنشآت في حالة وقوع أى اعتداء على مصر .

ثانيا — مقاطعة شحن وتفريغ وتموين جميع السفن وطائرات الدول التى تعتدى على مصر أو تؤيد العدوان عليها .

ثالثا — تدمير كافة المطارات والمنشآت الحربية والاجنبية في الوطن العربى للحيلولة دون استخدامها للعدوان على مصر .

رابعا — دعوة جميع عمال العرب للتطوع في جيش التحرير الوطنى لرد أى عدوان يقع على مصر .

خامسا — مطالبة الحكومات العربية تجميد أموال وممتلكات الدول التى جردت أو قد تجمد أموال وممتلكات مصر ، وكذلك سحب جميع أموالها وأرصدها من مصارف تلك الدول .

سادسا — مطالبة الدول العربية بدعوة دول مؤتمر باندونج لمؤتمر عالمى لاتخاذ قرارات ذات طابع دولى لتأييد مصر في موقفها التاريخى .

سابعا — إعلان الإضراب العام في البلدان العربية يوم ١٦ أغسطس سنة ١٩٥٦ استنكارا لمؤتمر لندن وتعرضه لموضوع هو من صميم سيادة مصر على أراضيها .

ثامناً — توجيه نداءات إلى الاتحادات النقابية الوطنية والمهنية والدولية لموازنة مصر في موقفها .

ولكن الاستعمار أراد أن يواجه العرب أكثر من جهة ، وقام الاستعمار الفرنسى بعمل إجرامى يتنافى مع كل القوانين والمواثيق الدولية ، بخطف الزعماء الجزائريين ، وقرر الاتحاد الإضراب العام فى كل البلدان العربية يوم ٢٨ أكتوبر استنكاراً للفضائح التى تقوم بها فرنسا الاستعمارية ضد الشعب العربى فى الجزائر ، وبخطفها الزعماء الجزائريين ، وأرسل الأمين العام للاتحاد الدولى للنقابات والعمال العرب البرقية التالية إلى رئيس وزراء فرنسا .

(العمال العرب جميعاً، يستهجنون أعمال القرصنة التى تقوم بها فرنسا وخرقها للبادئ الدولية، إن حياة الزعماء الخمسة الجزائريين ، ستفتدى بحياتنا ، يجب إطلاق سراحهم فوراً حفظاً للسلام العالمى ١٩٥٦/١٠/٢٥ الأمين العام) .

والاستعمار الذى أصبح يترشح تحت ضربات شعوب الشرق الاوسط والذى أصبحت وحدة هذه الشعوب خطراً داهماً يهدد كيانه ، أراد أن يثار من هذه الشعوب ، ووجه فى هذه المرة ضربة إلى مصر ، القلب النابض للبلاد العربية، إلى الرمز الحى لانتصارات العرب الذى إذا أصيب بأذى ، أصاب كل البلاد العربية ، وهذه الضربة أساساً كانت موجهة إلى وحدة الشعوب العربية . إلى وحدة عمال العرب . وفى الوقت الذى كانت العصابات الصهيونية تهاجم مصر ، كانت الدولتان العربيتان فى الاستعمار ، إنجلترا وفرنسا، يوجهان انذارهما بالتدخل والعدوان على مصر

وفعلا تحركت أساطيلها وجيوشها للاعتداء على مصر العربية . وفي هذا الوقت بالذات تحركت هيئة اركان حرب الطبقة العاملة ، تحركت قلعة عمال العرب ، تحرك الاتحاد الدولي لنقابات عمال العرب ، فوجه إنذاراً شديداً للمعتدين ، وأعطى للعمال في البلدان العربية إشارة التحرك في بيانها التالي .

د إن الوقفة المجيدة التي تجلت في إضرابكم الشامل يوم ١٦ أغسطس سنة ١٩٥٦ احتجاجاً وسخطاً على مؤامرات الاستعمار في لندن ضد مصر العربية وهي تباشر سيادتها الكاملة بتأميم شركة قناة السويس ، هذه الوقفة التاريخية ، كانت رداً عملياً على الغرب المتآمر على حرية الشعوب وحقوقها المشروعة في استثمار مرافقها لخير أهلها .

إن إضرابكم الذي شمل وطنكم الكبير من الخليج العربي حتى شاطئ الأطلسي ، قد زعزع كيان الدول الكبرى التي تحسب أنها لا تزال قادرة على تقرير مصائر الشعوب الطامحة إلى الحرية ، وقد عرف العالم أجمع بهذا الإضراب ، أن الأمة العربية اليوم ، غيرها بالأمس ، وأن ما يصيب أي جزء منها ، إنما يصيب كل الوطن العربي .

أيها العمال العرب

لقد أقمتم الدليل على أن صفوفكم المنتظمة المتحدة لم يبق فيها مكان لحائن أو متخاذل سلبى فكانت غضبتكم السلبية بداية مرحلة جديدة في تاريخ هذه الأمة ، مرحلة تصفية الاستعمار والاستغلال في كل شبر من الوطن العربي الكبير ، حيث عقدتم العزم على أنكم ستقفون في اليوم الخطير مثل هذه الوقفة في الصدارة من المعركة الحاسمة ، لتكبلوا الضربات القاصمة للاستعمار والاستغلال في شتى أنحاء الوطن العربي .

ان يكون هناك إضراب أو احتجاج ، وإنما سنمضى نحن العمال العرب ، فى حشود ضخمة حاملين السلاح لندافع عن قناة العرب ونحارب عن كل مرفق للعرب ، حتى نخاص أرض العرب للعرب وحتى تستخدم ثرواتها لخير العرب . . . فلن يحكمنا بعد اليوم أجنبي ، وان يستغل خيراتها دخيل ، فنحن أمة عربية ، ثرواتها وحدة كاملة ، وقوتها العمالية كتلة واحدة ، تدفع (دائما بقوة إلى الأمام) .

وبعد ساعات من الاعتداء الغادر على مصر العربية ، وجه الاتحاد ندائه ، وطالب العمال فى الدول العربية ، وضع قرارات الاتحاد موضع التنفيذ .

نداء من الاتحاد العربى لثقافات العمال العرب

إلى عمال العرب فى كل مكان

أيها الإخوة الأبرار

يا عدة الزمن وعتاد الوطن

أيها العمال العرب الأجداد

من القاهرة ، ومن تحت سمائها الصافية ، التى تهب بطائرت البهجة والمعتدين ، يدوى أزيزها فى ظلام يفرضوه ، وبين انفجارات قنابلهم المحرقة والمدمرة ، يعيش إخوانكم ، وإخوانكم فى مصر ، لن تلبث قناتهم أو يتأثر عن مهمهم ، فيقبلوا ما يطلبه المستعمرون الفاشيون من ترك وطنهم نهبا لهم ، نهبا للمستعمرين ولهذه العصابات الصهيونية الغادرة ، وكأنهم لم ينجحوا ولم يرعوا بما فعلوه بفلسطين الشهيدة وبالعرب فلسطين الأبرياء .

نعم ، كأنهم لم يشعروا بفداحة جرمهم وشناعة جريمتهم ، لا ضد العرب وحدهم ، بل ضد الانسانية بتشريدهم وحرمانهم ونجويتهم لهؤلاء الاخوة الأعرزة . إنها قصة الغدر والجريمة التي سيرونها الزمن ، والتي ستبقى وصمة عار في جبينهم ، في جبين هؤلاء المستبدين المتجبرين .

كان رد عمال العرب الأبحاد ، هو موضع التنفيذ الفعلي ، فحولوا بترول بلادهم الذي كان يتمتع به الاستعمار لمدة طويلة ، لحيبا ، ويحرق جسد الاستعمار المتعفن ودمروا معسكراتهم في البلاد التي مازالوا يحتلونها وطالعتنا الصحف بأنباء تحركات كتائب التحرير للعمال العرب في كل مكان من أرض الوطن العربي الكبير ، منفذين قرارات ١٠ أغسطس التاريخية ، فنشرت جريدة الجمهورية الصادرة في ٣ نوفمبر سنة ١٩٥٦ ، وتحت عنوان بارز « نسف أنابيب البترول » (بدأ العمال العرب في تنفيذ قرار اتحادهم بمنع تسرب البترول إلى الدول المعتدية وأخذوا في تهديد القواعد العسكرية الأجنبية في بلادهم ، وقاطعوا سفن العدو وطائراتهم) ثم استطردت الجريدة تقول (أن العمال العرب في طرابلس قاموا بتخريب أنابيب البترول ورفضوا شحن سفينة من سفن البترول) . وطالب العمال في العراق المسؤولين لمنع البترول عن القراصنة وأنذروهم بتدمير آبار البترول إذا لم ينفذ هذا الطلب فورا . ووجه رئيس اتحاد العمال في الأردن الشقيقة نداء إلى العمال من محطة الاذاعة الحكومية ، دعاهم فيه إلى تنفيذ قرارات الاتحاد وجاء إلى أمين عام الاتحاد الدولي لتقابات عمال العرب البرقية التالية :

من الاتحاد الليبي العام للعمال بتاريخ ٤ نوفمبر سنة ١٩٥٦ ، وهذا نصها :

(نفذنا القرار الثالث)

الامضاء رئيس الاتحاد الليبي العام للعمال سالم شيته
وجاء من نقابة عمال النفط بسوريا الأمانة العامة للاتحاد ، البرقية
التالية (سننفذ مقررات مؤتمر العمال العرب الخاصة بالبتترول في حين
تنفيذ الانذار الموجه من فرنسا وانجلترا إلى مصر ، أفيدونا برقيا .
رئيس النقابة عمر السباعي) . وردت الأمانة العامة للاتحاد في نفس
اليوم بالبرقية التالية (تنفذ مقررات الاتحاد عند وقوع الاعتداء على
مصر . الأمين العام ، فتحي كامل) . وأرسل اتحاد نقابات عمال سوريا
بتاريخ ٤ نوفمبر سنة ١٩٥٦ البرقية التالية (نحن إلى جانبكم حتى النهاية .
عمال سوريا الموقعون بالتزاماتهم مستعدون للسير معكم جنبا إلى جنب في
أى ميدان . يعقد مندوبو سوريا ولبنان والأردن إجتماعا خاصا لبحث
مايجب القيام به مجددا الويل للمستعمرين المعتدين . والنصر لنا جميعا .
رئيس اتحاد نقابات العمال العام بسوريا ، صبحي الخطيب) .

ولم يكتف عمال ليبيا الأبحاد بتنفيذ مقررات الاتحاد الثالث فحسب
بل قام الفدائيون من العمال في طرابلس الغرب بضرب مطار إدريس
الأول ، وهو مطار انجليزى ، وفي بنغازى ، دمروا مخازن البترول
وقاطع العمال باخرة محملة بالأسلحة كانت قادمة من أوروبا إلى ميناء
بنغازى ، وتركوا العمال دون أن يقدموا لها أى مساعدة . وفي الأردن
نسف العمال أنابيب البترول أيضا . وفي العراق ، وفي المملكة السعودية
رفضوا تموين الدول المعتدية بالبتترول ، ونتيجة ذلك أصيب الاستعماريون
بشمال في قواتهم العسكرية والمدنية ، وأصبحوا في مركز لا يستطيعون
معه الاستمرار في القتال إلى فترة طويلة . كما نفذ العمال في البحرين ،
والكويت ، قرارات الاتحاد بتدمير منشآت البترول بهما .

وحضر في أتون المعركة إلى مصر ، السكرتير العام لاتحاد عمال السودان . ومن القاهرة ، أرسل إلى عمال السودان النداء التالى بعنوان
احملوا السلاح يا أبناء السودان :

اليوم فى سماء بور سعيد ، واليوم على أرض بور سعيد ، واليوم على مياه بور سعيد ، تدور معركة عادلة من جانب أبناء وأمهات بور سعيد ، باطلة خاسرة من جانب قوات الدمار والطغيان ، معركة بين أنصار الحرية وإعداد الاستعمار والذل والهوان شعب بور سعيد ، وبين أنصار الوحشية والبربرية وإعداد السلام ، معركة حامية قوية يخوضها العامل فى بور سعيد يحمل السلاح مع أخيه التاجر والجندي يصارع به قوات العدو المعتدى الخ . . ؟

واجتمعت اللجنة التنفيذية لاتحاد عمال السودان صبيحة الاعتداء الغادر على مصر ، وأصدرت بيانات لكل العمال السودانيين نهيب فيها بهم ، أن يستعدوا لخوض المعركة مع مصر ، وإن يجندوا كل امكانياتهم لرد العدوان . وفى ثانى يوم الاعتداء ، خرج كل العمال عن بكرة أيهم فى موكب ضخيم سار فى طليعته أعضاء اللجنة التنفيذية للاتحاد ، وسلموا مذكرة لمجلس الوزراء تحمل ستة بنود :

- ١ — قطع العلاقات مع بريطانيا وفرنسا
- ٢ — قفل المطارات والموانئ أمام سفن وطائرات العدو
- ٣ — إعلان التعبئة العامة
- ٤ — إرسال المتطوعين إلى مصر
- ٥ — إرسال المعونة المادية

٦ — إرسال فرقة من الجيش للوقوف جنباً إلى جنب مع الجيش المصرى .

وعلى أثر هذا ، أضرب العمال وخرجوا فى مواكب تلغى اجرام المعتدين ونطالب الحكومة بتنفيذ تلك البنود . وقام عمال وموظفوا المطار وعمال شركات الطيران باضراب لمدة أربعة أيام ورفضوا إرشاد الطائرات الانجليزية والفرنسية . واشتركت الطبقة العاملة فى السودان فى هيئة النضام مع مصر لجمع التبرعات . وافتتح الاتحاد فى السودان مركزاً للتطوع والتدريب . وكان لهذه الأعمال صداها فى الأقاليم المختلفة فى السودان ، فصارت المظاهرات وأقيمت الليالى السياسية لمساندة مصر .

ولم يقف نشاط الاتحاد الدولى لانتقابات العمال العرب عند حد التعبئة للعمال فى البلاد العربية فحسب ، بل قام بنضال سياسى فى غاية الأهمية وأرسل بعديد من الاحتجاجات إلى الجهات العالمية المختلفة ، وهذا نص البرقية التى أرسلتها الأمانة العامة للاتحاد إلى سكرتير هيئة الأمم المتحدة وذلك على سبيل المثال .

(يجب أن يتخذ مجلس الأمن إجراء سريعاً ضد اسرائيل لاعتدائها على مصر ، فالعمال العرب من الخليج الفارسى حتى المحيط الاطلسى مصممون على الدفاع عن مصر وعن غيرها من الدول العربية ضد أى اعتداء مهما كان شكله حتى آخر رجل منهم) .

ويستعد الاتحاد الدولى لانتقابات العمال العرب إلى عمل مجيد تشترك فيه كل القوى العاملة فى البلاد العربية ، هذا العمل هو تعمير بورسعيد ولاغرابة فى ذلك ، فالدور الذى قام به العمال العرب فى مساندة مصر

لابد أن يتوج هذا العمل ، وأن يكون خاتمة تبرز إلى حد كبير مدى التضامن بين الطبقة العاملة في البلاد العربية . وعليه سيرسل الاتحاد الدولي لثقافات العمال العرب دعوة إلى اتحادات العمال العربية يطالب منهم فيه المشاركة الرمزية في بناء بور سعيد ، تخليدا لهذه المناسبة ، وايشهد العالم أجمع أن قوى السلم هي المنتصرة وأن قوى السلم تبني من جديد مآدمه تجار الحروب .

إن قوى السلم لن تهزم أبدا . . . أيها العمال العرب ، ارفعوا راية الوحدة عالية بسواعدكم القوية ، والمجد والعزة للشعوب العربية .

عمال العالم يتضامنون معنا

وقفت الطبقة العاملة العالمية بجانبنا بصفة دائمة وفي كل مراحل كفاحنا الوطني ضد الاستعمار لأن العمال في كل مكان أكثر الناس إدراكاً لأهمية تحرر الشعوب وأهمية صيانة السلام العالمي ومدى أهمية تدعيم الاستقرار في المناطق المختلفة في العالم ، وإزالة حدة التوتر الدولي وتدعيم مبدأ التعايش السلمي وذلك لينبؤوا ويصنعوا للحياة والسلام في طمأنينة .

والعمال في العالم ممثلين في الاتحاد العالمي للنقابات ، وفي نقاباتهم وفي اتحاداتهم ، أيدوا كفاحنا الوطني ووقفوا بجانب شعبنا ضد أعدائه ، وفي الدورة الخامسة للمجلس العام لاتحاد النقابات العالمي الذي عقد من ١٥ إلى ٢١ نوفمبر سنة ١٩٥١ ، اتخذ المجلس القرار الآتي تأييداً لكفاح شعبنا المسلح ضد قوات الاحتلال في القنال . (باسم ثمانين مليوناً من العمال المنظمين في العالم أجمع يحى المجلس العام لاتحاد النقابات العالمي الشعبين المصري والسوداني المساكين بشجاعة من أجل حريتهما واستقلالهما الوطني .

إن الكفاح الذي تقوم به السكتل الكادحة ضد الاستعمار الانجلو أمريكي ، هو في الوقت نفسه كفاح من أجل القضاء على البؤس وعلى

ظروف الحياة القاسية التي نتجت في جانبها الاكبر — عن السيطرة الفعلية للاستعمار الاجنبي . واستطرد القرار قائلا و يدعو المجلس العام جميع المنظمات النضالية ، وجميع العمال في العالم اجمع ، إلى تأييد الشعبين المصري والسوداني بكافة الطرق في كفاحهما العادل من أجل الدفاع عن حريتهما ، واستقلالهما الوطني ضد الاستعمار الانجلو امريكي الذي يعمل على تهديد السلام العالمي عن طريق احتلاله لأرض القطرين ، وبواسطة ما يفرضه من ضغط من أجل اجبار الشعبين على قبول معاهدات عدوانية (ميثاق البحر الأبيض — القيادة العسكرية الموحدة) . ويستنكر اتحاد النقابات العالمي أعمال القوات البريطانية التي تستخدم قوة السلاح لاجبار العمال المصريين على العمل في منطقة قناة السويس لخدمة الاستعماريين البريطانيين .

هذا موقف الطبقة العاملة العالمية أثناء نضال شعبنا لطرد قوات الاحتلال من أجل الاستقلال والسيادة .

إن العمال ، في كفاحهم من أجل التحرر والسلام ، يقفون في وحدتهم الرائعة بجانب كفاح شعبنا وعندما تتآمر قوى الشر من الاحتكاريين الاستعماريين في انجلترا وفرنسا على مصر ، وتعتدى على سيادتها واستقلالها ، وتقوم بقتل السكان المسلمين ، وتخرب وتدمر بقنابلها المدن والقرى الآمنة في مصر ، في هذا الوقت بالذات ، تقف الطبقة العاملة الانجليزية والفرنسية بجانب الشعب المصري . لأن الذين يريدون ان يبيدوا استقلالهم واستعمارهم على الشعب المصري ، هم الذين يستغلون أيضا الطبقات العاملة في انجلترا وفرنسا أبشع استغلال . وبمجرد

الاعتداء الغادر على بلادنا ، وجه المجلس القومى للعمال فى انجلترا الدعوة للثقابات والجمعيات التعاونية كى يقوم الجميع بحملة ضد العدوان على مصر وأصدرت جميع الثقابات البريطانية قرارات تستنكر العدوان ، وعقد اتحاد النقل الذى يضم مائة وعشرة آلاف عامل اجتماعا افتتحه سكرتير الاتحاد بقوله « إننى أطيب باسم مائة وعشرة آلاف عامل ، بوقف العدوان على مصر ، وعقدت الجمعيات التعاونية البريطانية التى تضم أكثر من مليون عضو ، اجتماعا فى أول نوفمبر اتخذت فيه قرارا باستنكار العدوان .

وفى فرنسا ، لم تكن الطبقة العاملة هناك أقل حماسا ضد الاعتداء الغادر ، فشمّل الاضراب مصانع الطائرات فى وارسولت وفوزان وفى محطات القوى الكهربائية وفى مصانع س . ك . ف . وهسيانو وعمال كولومبو ومصانع السفن فى لاسيوتا . كما أضرب عمال المناجم فى ديسمازوان وعمال الشحن والتفريغ فى آلبونى سيرمير ، وأعلن عمال البلدية فى باريس الاضراب احتجاجا على العدوان . وبمجرد الاعتداء على مصر ، أرسل الاتحاد العالمى للثقابات فى ١١/٢/١٩٥٦ برقية لاحتجاج شديد ونداء إلى العمال فى العالم ، يدعو إلى التأذ والتآلف مع الشعب المصرى ، وهذا نص البرقية (نحتج بشدة على العدوان المشين الذى وجهته حكومات بريطانيا وفرنسا وإسرائيل ضد مصر وشعبها ، إن البشرية بأسرها تستنكر هذا التدخل العسكرى العنيف وتعدّه عملا وحشيا إرتفعت ضده أصوات الاستنكار والاحتجاج من العالم فى جميع ربوع العالم ، إن الاتحاد العالمى يحنى رأسه فى حزن وأسى على ضحاياكم فى هذه الحرب الاستعمارية الجديدة ، ويؤكد لكم التأييد التام

من العمال في كل مكان ، إن الاتحاد العالمي بعث بنداء إلى العمال في مختلف أنحاء العالم بغير تمييز بناشدكم فيه التآلف والتآزر لوضع حد لهذا الاستعمار المشين) .

وقد رد الأمين العام للاتحاد الدولي لنقابات عمال العرب بالبرقية التالية (تسلمنا برقيتكم التأييدية وطائرات الاستعمار في سماء مصر تقذف بمناياها على مدن وقرى بلادنا ، فتقتل الأطفال والنساء والشيوخ ورغم هذا الهجوم ، فإننا نقف جيشاً وشعباً بمزمو وصلابة ضد هجمات المعتدين المتواليين . إننا نرى في إعتداء بريطانيا وفرنسا وإسرائيل على مصر إعتداء على جميع العالم ، فلا غرابة إذا ما وقف عمال العالم وكل الأحرار معنا ، لذا فنحن بجانب تأييدكم لنا ، نرجو وقوفكم معنا في هذه المعركة لنصرة السلام من وحوش البشرية المفترسة . إننا سنقاتل في قوة وثبات ضد أعدائنا وأعدائكم ، نخوضوا معنا هذه المعركة لننقضي على قوات الشر والعدوان ونصون الأمن والرخاء في العالم أجمع . إن النصر لنا ، والموت والفناء لتجار الحروب ، أعداء البشرية) .

ولم يكن موقف الاتحاد العالمي متوقفاً على البرقية الأولى ، ولكنه استمر في عزم شديد لتعبئة الطبقة العاملة في العالم لنصرة النضال المبين لشعبنا ، وأرسل الاتحاد العالمي البرقية التالية بتاريخ ١٧/١١/١٩٥٦ (تمت أعمال الاجتماع الحادي والثلاثين للمكتب التنفيذي لاتحاد العمال العالمي بقراءة برقيتكم بتاريخ ١٣ نوفمبر سنة ١٩٥٦ . فنفيديكم بالقرارات التي اتخذت والخاصة بالإعتداء ضد مصر وهي :

أولاً : حتى يتسنى للقوات المعادية الرحيل فوراً عن مصر طلب المكتب التنفيذي من جميع العمال والنقابات في كافة البلاد أن يشدوا

العمل في هذا الصدد قبل السكتل العاملة في الحكومات وفي الأمم المتحدة
ثانياً : حشهم أيضاً أن يزدوا في جمع التبرعات والأغذية والأدوية
لصالح الشعب المصرى . وقرر أن يبرهن حالا عن تكاتف الاتحاد
العالمى وأن يرجو منكم قبول خمسة آلاف جنيهها إسترلينيا لضحايا
الغارات المدنيين .

وفي إقرار له يطلب كذلك المكتب التنفيذى من الدورة الحادية
عشر للجمعية العمومية للأمم المتحدة أن يرغموا الحكومات المعتدية على
تعويضات الخسائر الحرب التى أوقعتها على الشعب المصرى (من
عمارات تهدمت ومعاشات الأراامل واليتامى ومشوهى الحرب) ، وترسل
لكم بهريد خاص نص القرارات التى اتخذت اليوم بواسطة المكتب
التنفيذى .

تحياتى الأخوية

وفي يوم ٢٤ / ١١ / ١٩٥٦ ، أرسل الاتحاد العالمى للنقابات البرقية
التالية :

(تأييداً لقرار المكتب التنفيذى لاتحاد العمال العالمى عن التكاتف
مع النقابات والعمال المصريين ، نخبركم أننا قد حولنا لكم مبلغ ٥٧٩٠٠
فرنك سويسرى بما يعادل ٥٠٠٠ جنيهها إسترلينيا بواسطة اتحاد البنوك
السويسرية بجنيف ، ونكرر إحساساتنا الأخوية فى التضامن مع كفاح
العمال والشعب المصرى ضد الاعتداء ، ويمضد عمال العالم بأسره كفاحكم
المشروع لاستقلال مصر ونبعث إليكم بخالص تحياتنا الأخوية) وسلم
المبلغ إلى سيادة رئيس الجمهورية الرئيس جمال عبد الناصر الذى حوله
مشكوراً إلى الجهات المختصة لإنفاقه .

وعقد المجلس التنفيذي في يوم ١٢ نوفمبر سنة ١٩٥٦ ، إجتماعاً
ببراغ ، وقرر أن ينظر أول مسألة في جدول أعماله ، وهي نتائج
الاعتداء ضد مصر ، وتنمية العلاقات والتسكاتف من جانب الاتحاد
العالمى للنقابات مع النقابات في البلاد العربية .

وكانت إستجابة التنظيمات النقابية والعمالية في العالم على نداء الاتحاد
العالمى لتأييد مصر والوقوف بجانب الشعب المصرى المناضل . إستجابة
رائعة وقوية ، فقد أرسلت النقابات والاتحادات المحلية برقيات تأييد
ومساعدات جليلة للشعب المصرى . وأرسل الاتحاد العام لعمال الصين
إلى سكرتير المؤتمر الدائم بالبرقية التالية (جميع عمال الصين يستهجنون
الاعتداء الغاشم الذى تقوم به الجيوش الانجليزية والفرنسية على مصر
أن هذا الاعتداء الغادر على الشعب المصرى لا تسمح به الإنسانية .
بالنيابة عن جميع عمال الصين ، تؤيد الشعب المصرى بكل قوة للدفاع
عن حريتهم القومية بزعامة بطركم جمال عبد الناصر ... إننا نؤكد لكم
بكل إخلاص أن النصر فى النهاية للشعب المصرى) .

ورد عليهم سكرتير المؤتمر الدائم بالبرقية التالية (باسم جميع العمال
المصريين فى جمهورية مصر ، أشكركم عظيم الشكر لتأييدكم لنا ضد الاعتداء
البربرى على مصر ، إننا سنستمر فى نضالنا الشديد بعزم وصلابة إلى أن
تحقق النصر من أجل السلام والعدالة والحرية . نحن نأمل أنكم ستساهمون
بعمل إيجابى معنا لحفظ السلام والحرية للجميع) .

ولم تقف جهود الطبقة العاملة الصينية عند تعبئة قوائمها لحسب ،
بل عبأت كل قوى شعب الصين المجيد ، وتم تكوين اللجنة الصينية

لمساعدة مصر ، وأرسل الاتحاد العام الصيني بتاريخ ١٥ / ١١ / ١٩٥٦
البرقية التالية إلى سكرتير عام المؤتمر الدائم لنقابات عمال مصر :
(يسرني جداً أن أخطركم أن اللجنة الصينية التي تكونت لمساعدة
مصر في مقاومتها العدوان ، قد تم تشكيلها يوم ٨ / ١١ / ١٩٥٦ ، وقد
اشترك إتحاد نقابات عمال الصين بمجهود كبير في هذا العمل وقد انتخب
رئيس الاتحاد د لاى جيو ، عضو مكتبها التنفيذي ، كما انتخب نواب
الرئيس د ليان شى وشوشوفان ، وأنا وأعضاء اللجنة سنعمل أقصى
ما في وسعنا للدعوة وتنظيم القوى العاملة جميعها بعمل إيجابي فعال في
كفاحه البطولي) .

وأرسل اتحاد عمال نسيج الصين الشعبية إلى رئيس اتحاد نقابات
عمال الغزل والنسيج بمصر البرقية التالية (أنه بالرغم من معارضة شعوب
العالم ، جرؤت إنجلترا وفرنسا على شن هجوم مسلح كبير على مصر ،
مؤيدة لهجوم الاسرائيلي . وقد حذرنا حكومتى إنجلترا وفرنسا من هذا
العمل الإجرامى وطالبناهما بإيقافه فوراً وحل مسألة قناة السويس
بالمفاوضات السلمية . ونحن نؤيد بشدة الشعب المصرى الذى يقاتل
في سبيل سيادته القومية وحرية في سبيل تحقيق السلام العالمى) .

كما قامت الطبقة العاملة الصينية بالعمل ثمانى ساعات إضافية من أجل مصر .
وقامت الطبقة العاملة السوفيتية بدور جبار لمناصرة كفاحنا
ومساعدة شعبنا ، وعقدت المؤتمرات والاجتماعات في الميادين والشوارع
والمصانع لتأييد الشعب المصرى ، كما قرر الشعب السوفيتى إرسال
متطوعين ليقاتلوا بجانب شعبنا ، وقرر العمال العمل ساعات إضافية
لمصر ، وقدمت الطبقة العاملة السوفيتية مساعدات قيمة إلى شعبنا ، عبر

عنها الدكتور ميلوف مندوب الصليب الأحمر السوفيتي ورئيس
البعثة التي جاءت إلى مصر تحمل هدية الشعب السوفيتي إلى شعب مصر
المناضل بقوله : « اسمحوا لي أن أحييكم نيابة عن الشعب السوفيتي وأن
أحيي فيكم الشعب المصري ، إن مصر اليوم على ألسنة الجميع في بلادى
يذكرها الناس في كل مدينة وقرية ومزرعة ومصنع ، ونحن نتحدث
عنكم ونفكر فيكم . إن الشدائد تظهر الصداقة ، ولذلك فأننا نذكركم
في هذه الظروف التي تعرضتم فيها للعدوان الغادر ، واستطرد الدكتور
ميلسوف يقول ، منذ اللحظة التي ألقيت فيها القنابل على بلادكم . إنا كانت
قلوبنا معكم وأجمعنا على مساعدتكم ، وعقدت اجتماعات كثيرة عبر فيها
الشعب السوفيتي عن سخطه على المعتدين الذين أرادوا الاعتداء على
حياتكم وسلب استقلالكم ، وأن الاتحاد السوفيتي كله رجل واحد
ضد المعتدين يطالب بانسحابهم من مصر . وقد أجمع الملايين من أبناء
الاتحاد السوفيتي على تقديم هذه الهدية للشعب المصري تعبيراً عما يمكنه
له من تقدير وتأيد وصداقة ، وفي وقت قصير ، جمع الشعب السوفيتي
٥٠ مليون روبل اشترينا بها هذه الهدية ، ونحن نأمل أن تساعدكم هديتنا
في تخفيف ويلات الاعتداء . وختم الدكتور ميلسوف كلمته قائلاً ، المجد
للشعب المصري ، الشعب العمل ، الشعب المحارب ، لتحى الصداقة بين
الشعبين المصري والسوفيتي . »

وكانت الهدية مكونة من ٣٠٠٠ طن قمحا ، ونصف مليون علبة
أغذية محفوظة ، وأدوية وعقاقير طبية قيمتها ٣ ملايين روبل ، وأدوات
جراحة وأجهزة طبية قيمتها ٦٠٠ روبل ، ومستشفى كامل المعدات

يسع ٣٠٠ سرير بكل ما يحتاج إليه من أغطية ومفروشات ، و ١٥ خيمة مستشفى متنقل ، و ١٠ سيارات إسعاف .

وعبر السكرتير العام لل مؤتمر الدائم الزميل فتحى كامل تعبيراً صادقاً عن شعور الطبقة العاملة المصرية نحو العمال الأجناد فى الاتحاد السوفيتى فى برقيته التالية :

(بإسم عمال مصر ، يسعدنى أن أقدم إليكم بخالص الشكر على هذه الروح الأخوية التى لمسناها منكم أثناء وقوع الاعتداء الذى استنكرته الشعوب المحبة للسلام فى العالم ؛ والذى كان الاتحاد السوفيتى شعباً وحكومة أكبر الأثر فى وقوفه لمساعدة الشعب المصرى وتأييده فى حقّه الواضح الذى حاول المستعمرون عن طريق ضيعتهم لإسرائيل التى أقاموها فى قلب الوطن العربى وفى صميم الشرق الأوسط لتكون أداتهم الفعالة لاستعمار هذه النقطة ، ولاستعباد شعبها وامتصاص دماهم وأرزاقهم .

إن موقف الاتحاد السوفيتى شعباً وحكومة ، وصلابتهم وعزمهم على مقاومة هذا العدوان على حريات للشعوب وسيادتها ، واستعداد المتطوعين منهم لبذل دماهم فى سبيلنا ، وعطف العمال وتبرعهم لنا ، ونورة شعبكم من أجل الدفاع عنا ، لجديرة بأن تخلد فى صفحات التاريخ ، لحفظ السلام والحرية فى بقاع الأرض .

ترجو أن تنوبوا عنا فى تحية كل إنسان حى فى الاتحاد السوفيتى ، وثقوا بأننا سنتصر مادام الحق فى جانبنا ، وبحي السلام يشدون أزرنا) .
كما كانت كلمة الدكتور منصور فهمى رئيس الهلال الأحمر ، أبلغ تعبير عما يكنه شعبنا من الحب والصداقة للشعوب السوفيتية ، إذ قال

(أعرب عن تقدير مصر للعواطف النبيلة التي أظهرها الشعب الروسى وقال أن بطولة الشعب يستمدّها من قائده وزعيمه الكبير جمال عبد الناصر ، وقد قوى هذا الشعور ، هذه البسالة ، وشعور الشعب المصرى نحو أحبائه وأصدقائه الذين يقدمونه ويقدرّون محبته للسلام) .
وأرسل عمال تشيكوسلوفاكيا تأييدهم للشعب المصرى ببرقية أرسلها رئيس نقابة عمال تشيكوسلوفاكيا إلى سكرتير المؤتمر الدائم لنقابات عمال جمهورية مصر قائلا :

(يؤكّد النقيبون التشيكوسلوفاكيون أنهم سيعملون ما فى وسعهم لمساعدة كل القوات المحبة للسلام فى كل العالم ، والقيام بجميع التسهيلات المالية فى العالم أجمع . أن كل الأعمال المجرّمة من المعتدين المستعمرين يجب أن توقف فوراً ، وأن عمل بلادنا يحثون القرار الجديد للجمعية العمومية الغير عادية للأمم المتحدة لايّاقف الأعمال الحربية وخروج القوات العسكرية الغربية من الأراضى المصرية ، وينظرون فى نفس الوقت من الجمعية للأمم المتحدة أن تتخذ عملاً حازماً لتأكيد الاستقرار السريع والسلام . إن عمال تشيكوسلوفاكيا يعبرون فى هذه اللحظة العصبية على شعبكم ، تضامنهم وتكاتفهم فى صراعهم العادل ، وأنهم يقفون باستمرار فى جانبكم أيها الأصدقاء الجمعين) .

كما أرسل عمال كوريا الشعبية الأبطال الذين هزموا جيوش أمريكا وجيوش الإنجليز والفرنسيين ومعهم جيوش ١٦ دولة أرادوا غزو بلادهم ، ووقفوا على رأس شعبهم ببسالة من أجل الدفاع عن سيادة بلادهم برقية تعبر عن مدى ما تكنه الطبقة العاملة الكورية من حب وعزم فى مشاركتنا الكفاح ضد العدو المشترك ، وهذا نص البرقية :

(اتحاد نقابات العمال الكبرى يرسل كل تأييده لهذا السكفاح للعادل الذى تقوم به البلاد العربية ، لتأييدهم الشعب المصرى فى كفاحه من أجل حريته واستقلاله ضد هذا العدوان المسلح من انجلترا وفرنسا واسرائيل . ليس فقط ضد الشعب المصرى ، بل أنه ضد محبى السلام فى شعوب آسيا وأفريقيا ، ومحبى السلام فى العالم أجمع ، كما أنه ضد المثل العليا لمئات الملايين من الناس فى جميع أنحاء العالم . إن اعتداء انجلترا وفرنسا واسرائيل سيلقى الخزي والعار والهزيمة كما يلقاه المستعمرون الأمريكان وسنجهان رى وتشيانج كاي شيك الذين يعملون ضد الشعب الكورى . نحن متأكدون تماما أن الأقطار العربية ستحرز انتصارا باهرا فى كفاحهم العادل لتأييدهم الشعب المصرى)

وأرسل المجلس المركزى لنقابات عمال البانيا إلى المؤتمر الدائم لنقابات وعمال جمهورية مصر بقرية هذا نصها (عمال جمهورية البانيا مع جميع عمال العالم ، يستنكرون من الأعماق الإعتداء الوحشى الانجلو فرنسى على الأراضى المصرية لإعادة الاستعمار على بلادكم ، ولاختلاف وسيلة للتدخل الأجنبى وإيجاد حالة توتر عالمى . إن الانسانية المتقدمة لتعرف أن تأمين قناة السويس كان عملا قانونيا حقا يسترد به الشعب المصرى حقه ويتخلص من السيطرة ويعيش فى سلام متمتعاً بحريته محتفظاً بسيادته التى أخافت الاستعماريين فاستخدموا القوة ضد شعبكم الآمن بعدان ضغظوا عليه اقتصاديا وعمال البانيا يضمون صوتهم إلى أصوات عمال العالم ، ويدبنون الاعتداء الانجلو فرنسى ضد دوائكم المستقلة ، ويعتبرونه خرقا صريحا لميثاق الأمم المتحدة واحترام حقوق السيادة . وعمال البانيا

واقفون تماما من نصرة قضيتكم ، ويؤكدون تضامنهم معكم في كفاحكم
من أجل الحرية والاستقلال والسلام) .
وأرسلت اللجنة المركزية لاتحاد نقابات رومانيا ببرقية تأييد ،
هذا نصها :

(إن عمال الجمهورية الشعبية الرومانية قد قابلوا بعميق الأسف
الاعتداء المسلح من كل من فرنسا وانجلترا واسرائيل على وطنكم . فباسم
أعضاء اللجنة المركزية لاتحاد عمال النقابات الروماني ، تؤكد اللجنة
لعمال جمهورية مصر وشعبها ، تأييدها بعزم وصلابة لدفاعهم عن استقلالهم
وسياذتهم ، نحن نؤكد تماما أن العمال المصريين المؤيدون بالرأى العام
العالمى ، وبمحبي السلام فى جميع أنحاء الدنيا سيهزمون المعتدين الانجليز
والفرنسيين الذين يحاولون أن يفرضوا على مصر الاستعمار والاستغلال) .

وعبر عمال المانيا عن تأييدهم لنضال شعبنا بهذه البرقية . (بإسم خمسة
مليون وأربعمائة ألف عامل ، والشعب الألماني الذى جن غضبا بالهجوم
الاسرائيلى ، وبغزو الانجليز والفرنسيين للأراضى المصرية ، هذا الهجوم
الذى بالتاكيد يتعارض تماما مع ميثاق هيئة الأمم المتحدة ، والذى
بكل تأكيد سيقابل بالرفض والمعارضة من جميع العمال فى كل أنحاء
العالم . فباسم عمال المانيا ، يهمنى أن تتضامن معكم فى كفاحكم) .

ورد عليهم أمين عام الاتحاد الدولى لنقابات عمال العرب ،
بالبرقية التالية :

نقدم لكم شكرنا العميق على تأييدكم لنا فى كفاحنا ضد الهجوم الاسرائيلى
الذى كان يؤيده الانجليز والفرنسيين على وطننا ، والذى تم بصورة

وحشية تتنافى مع ميثاق الأمم المتحدة ، وأنا نؤكد لكم أننا سندافع عن وطننا ، حتى آخر رفق فينا . خوضوا معنا معركة الحرية والسلام ضد القوى المعتدية التي وضعت اسرائيل لتستعملها ضد استقلال شعوب منطقة الشرق الأوسط . إننا سننتصر ونستحق الاستعمار وتجار الحروب بفضل تعاوننا مع عمال العالم) .

وأرسل الاتحاد الدولي لنقابات النسيج والملابس بيميلانو ، برقية تأييد إلى رئيس اتحاد عمال الغزل والنسيج بجمهورية مصر ، وهذا نصها :
(يعلن الاتحاد الدولي لنقابات النسيج والملابس ، تضامن خمسة ملايين من أعضائه مع عمال النسيج والشعب المصري في إدانة العدوان الاستعماري على الأراضي المصرية ، وأن مقاومة الشعب المصري وإرادة شعوب العالم كله ، كفيلة بإعادة السلام وضمّان استقلال مصر) .

ورد عليه رئيس اتحاد عمال النسيج والغزل بالجمهورية المصرية بالبرقية التالية . (نشكركم على برقيتكم ، ونطلب منكم وقف هذه الأعمال البربرية . وأنا ننتظر مساعداتكم القوية ، الحالة الحاضرة تدعو إلى تدخلكم ، ونحن سنحارب حتى النهاية) . رئيس الاتحاد احمد فهميم .

وهكذا ، وقفت الطبقة العاملة في العالم بأجمعه ، في وحدة رائدة بجانب كفاح شعبنا للدفاع عن سيادته ، ولرد عدوان المعتدين على أراضينا .

وهكذا انتصرنا بفضل تأييد شعوب العالم لنا .

خاتمة

بوحدة الشعب . . سنسحق المستعمرين

هذه العجالة السريعة لكفاح الطبقة العاملة ودورها في المعركة إلى جانب دور الشعب والجيش والحكومة تشير إلى واقع جديد وقوة جديدة برزتا في معركة حرب التحرير لطرد الغزاة من أرض الوطن .

هذا الواقع هو . . . الوعي الجديد . . . هو الشعور بالمسؤولية نحو حماية مصر واستقلالها وتأكيد سيادتها . . . على أراضيها ، على ثرواتها الطبيعية ، على خبراتها . . . هو المشاركة الإيجابية في معركة الحرب لصد الغزاة وهزيمتهم . . . هو العمل المتواصل وزيادة الأعباء في المصانع والمزارع وكافة المرافق العامة لزيادة الانتاج . . . هو التضامن الأخوي مع جميع أفراد الشعب ومع الجيش والبوليس وكافة الهيئات ، ولاتنفاف حول حكومتنا الوطنية لتأكيد الوحدة الوطنية التي هي دعامة النصر على العدو .

وهذه القوة الجديدة ، هي قوة للطبقة العاملة المنظمة في نقاباتها واتحاداتها هذه القوة التي أفسحت لها مجالا في مجتمعنا الحر ، وقفت عملاقة تبني بفخار مع جميع القوات الوطنية صرح الحرية والاستقلال والسلام .

إن انتصارنا على العدو ، قد تم بفضل هذا الوعي الجديد ، وبفضل هذه القوة الجديدة ، وبفضل التضامن الدولي للطبقة العاملة ، وبفضل يقظة الشعوب ووقوفها بجانب شعبنا وطبقتنا العاملة ، بفضل كل هذا انتصرنا في الجولة الأولى على العدو .

وهنا ، يبرز أمامنا التساؤل التالي : —

هل المعركة انتهت ؟ ؟

لا لم تنته المعركة بعد ، . . . فالاستعمار ، هو الاستعمار ، ولن يكون شيئا غير هذا . . .

فالمستعمرون يضمّدون جراحهم ، ويجمعون أشلاءهم ، وجيوشهم
المنهزمة ، لبدأوا الجولة الثانية ، لقد قامت أمريكا بدور الطبيب
الاستعماري . . . فسارعت ، أثر وقف إطلاق النار ، بمد يد المساعدة
إلى إنجلترا وفرنسا ، فاعتمدت لهم المساعدات الاقتصادية ، وشجنت
لهم البترول وعبثت مواردها لخدمتهم ، وكأن إنجلترا وفرنسا هما المعتدي
عليهما من مصر ، أما مصر ، التي نشر المستعمرون في أراضيها الخراب ،
وأشعلوا في مدنها الحرائق ، وقتلوا فيها النساء والأطفال ، ودمروا
المدن الآهلة بالسكان . مصر هذه ، لا تستحق شيئاً في نظر الاستعماريين ،
لا تستحق أى تعويضات عما أصابها من الخراب والدمار ، فإذا أردنا
إن نبني المنازل التي تهدمت ، وأن نقيم المصانع التي تفي بحاجتنا ، فلن
نجد من يعطينا أداة البناء ، وإذا أراد المستعمرون هدم حضارتنا ،
وهدم استقلالنا ، ونهب خيراتنا ، وجدوا كل المعونة ، وإذا فشلوا
في المحاولة الأولى وجدوا ألوف المليارات من الدولارات وعشرات
السفن تحمل لإيهم المؤن وآلات الحرب ليعاودوا المحاولة مرة ثانية .
أن طبيعتهم الاستعمارية تغلب عليهم . . . فلم تمض أياما على هزيمة
قوات المعتدين . . . ولم تمض أياما على استنكار العالم بأسره لسياسة
العدوان على استقلال الشعوب ، ولم تنزل الدماء التي سفكها المعتدون
في بور سعيد ساخنة لم تجف . وفي الأيام الأولى بعد وقف إطلاق
النار ، وسحب قوات المعتدين ، يصبح الجنرال أيزنهاور . أن الشرق
الأوسط في خطر . . . أن المصالح الأمريكية مهددة في هذه المنطقة . .
ولا بد من سلطات استثنائية لاستخدام القوات العسكرية الأمريكية
لتأمين سلامة البترول في هذه المنطقة . . . لقد انتصر الشعب المصري ،
وأمم القنال وأعيدت إليه خيراتها . إن أمريكا تخشى أن يذهب البترول
لأصحابه من سكان هذه المنطقة كما ذهبت خيرات القنال لشعب مصر .
لذلك ، يهدف المشروع إلى إقامة حكومات بترولية ، أى حكومات

موالية المغرب ، تحرم المصالح الأمريكية والمصالح الاستعمارية من شعوب الشرق الأوسط . وتعتمد في سياستها على تأييد القوات الأمريكية المصلحة والسلطات الاستثنائية للجنرال أيزنهاور ، والدولار الأمريكي الذي تحمله البوارج وحاملات الطائرات والغواصات الأمريكية وجنود البراشوت إلى هذه الحكومات .

إن هذا المشروع يريد أن يحقق ما فشل فيه الغزاة من الانجليز والفرنسيين وريبتهم إسرائيل .

أن هذا المشروع يحرض العناصر الموتورة من عملاء المستعمرين للعبث بأمن وسلامة هذه البلاد مستندين إلى القوة العسكرية الأمريكية التي على أهبة الإستعداد للتدخل المساح عندما تنشط هذه العناصر . أنه اعتداء صريح على حرية بلادنا ، وعلى استقلال شعوب منطقة الشرق الأوسط .

إن أيزنهاور يريد أن يسير بقافلة الاستعمار إلى الشرق . . . إلى بلادنا . . . إلى مصر . . . إلى سوريا . . . إلى الأردن . . .

لقد ثبت من المعركة أن الشعوب أقوى من المؤتمرات ، أقوى من الغزو ، لقد فشلت جميع خططهم في الجولة الأولى . . . لقد تحطمت قواعدهم . . . وهاهو نوري السعيد ياتي جزاءه على يد شعبه الثائر في العراق . . . وها هي الشعوب الثائرة متضامنة مع حكوماتها الوطنية تقف ضد مؤامرات الجواسيس في الأردن وسوريا .

لقد أراد أيزنهاور بمشروعه أن يحمي هذه القواعد المنهارة ، وفي تل أبيب ، وفي أنقرة ليحقق الأرض الصالحة لتدبير المؤامرات ضد شعوب المنطقة . . . إن أيزنهاور جاء أصرح من إيدن وموليه ، فأعلن صراحة أن القوة العسكرية الأمريكية ضرورية للتدخل وحماية عملاء الغرب . لقد أعلن المستعمرون بدء الجولة الثانية ضد الشعوب المتحررة

وحكوماتها الوطنية ، ولذلك ، فإن المعركة لم تنته . . . ولن نتركهم يفلتون من الحساب ، منجبرهم على دفع التعويضات المناسبة عما اقترفوه من جرائم ، سنطالب بمحاكمة المسؤولين عن هذا العدوان ، سنقول لا يزنهاور أن أعدائنا هم الذين أحرقوا مدننا ، وقتلوا نساءنا وأطفالنا ، ودمروا اقتصادنا ، ونشروا الخراب في أرضنا ، وليس لنا أعداء غير هؤلاء .

وبفضل يقظتنا ووعينا الوطني ، وبفضل وحدة شعبنا والتفافه أكثر فأكثر حول حكومتنا الوطنية ، حكومة الرئيس جمال عبد الناصر رمز إستقلالنا ، ورمز إنتصارنا ، ورمز حريتنا . . . وبفضل تضامن العمال العرب ، والشعوب العربية ، وبفضل مؤازرة الشعوب لنا ، وبفضل تأييد الحكومات المحبة للسلام لعادلة قضيتنا . بفضل كل هذا ، سننتصر في الجولة الثانية ، فلن ندع قافلة الاستعمار تسير . . . لن ندعها تدخل بلادنا . . . سنقف في طريقها . . . وليقولوا مايشاؤون . . . إن أرضنا ستظل لنا . . . إن قناتنا ستظل لنا . . . إن بترونا سيظل لنا . . . إن حريتنا ستظل لنا . . . إن إستقلالنا وسيادتنا على أراضينا سيستمران مدى الحياة .

ولسنا ندري ماذا يقصد الجنرال . . . بالمحافظة على إستقلال بلاد الشرق الأوسط . . . أهو إستقلال مصر . . . أهو إستقلال سوريا . . . أم هو إستقلال الأردن . . . أم إستقلال العراق وتركيا وإسرائيل ؟

وماذا يقصد بالعدوان . . . أهو الاعتداء الشيوعي المزعوم كما يزعم . . .

أم أن عدوان إنجلترا وفرنسا وإسرائيل على إستقلال مصر وسوريا والأردن لا يعتبر عدوانا ؟

لا غرابة إذن في موقف الجنرال ، وما يهدف إليه مشروعه إذا علمنا
أن ملوك البترول يقفون وراء هذا المشروع .

أنا سنقول لا يزنهاور ، إن تكون أكثر حظاً من أتباعك
إيدن وموليه ، يوم تقع الواقعة .

والنصر لنا

والموت للمستعمرين

والعزة للشعوب العربية